

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La  
Recherche Scientifique

Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib -

Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social

Département Lettre et Langues arabe



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

رقم المذكرة: 2026/....

مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

عنوان المذكرة

قراءة في كتاب البشير الإبراهيمي أدبيا لمحمد عباس

إشراف:

الأستاذ: معمر الدين عبد القادر

إعداد الطالب:

كرامة وليد

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب                   | الرتبة               | مؤسسة الانتماء                  | الصفة         |
|--------------------------------|----------------------|---------------------------------|---------------|
| أ. بداد عبد العالي             | أستاذ محاضر أ        | جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت | رئيسا         |
| الأستاذ: معمر الدين عبد القادر | أستاذ محاضر، أ       | جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت | مشرفا، ومقررا |
| الأستاذ: مصطفىاوي جلال         | أستاذ التعليم العالي | جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت | ممتحنا        |

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ / 2025-2026



## شُكْرٌ وَعِزْفَانٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل، وقدم لي الدعم والتوجيه والنصيحة طوال مسيرتي الدراسية.

وأخص بالشكر والتقدير الأستاذ المشرف معمر الدين عبد القادر، على توجيهاته القيمة، ونصائحه السديدة، ومتابعته المستمرة، وما قدمه لي من دعم ومساعدة كان لهما أثر كبير في إتمام هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى صديقي وأخي عمر الذي بذل معي في هذا العمل جهداً موفوراً، أسأل الله أن يرزقه من لدنه وليا يرثه، وما ذلك على الله بعزيز.

ولا يفوتني في هذا لمقام أن أتقدم بالشكر إلى أفراد عائلتي، الذين كانوا سنداً لي، وإلى كل من وقف إلى جانبي وساندني خلال مراحل إنجاز هذا العمل.

# أهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى عائلتي الكريمة، التي أحاطتني بالدعم والتشجيع، وكانت سنداً لي في مسيرتي.  
إلى كل من ساعدني، وساندني، وقدم لي كلمة طيبة أو نصيحة صادقة، فله مني  
جزيل الشكر والامتنان.

إلى أساتذتي الكرام، الذين أناروا دربي بالعلم والمعرفة، وكانوا مصدر إلهام وتوجيه.  
إلى كل من أحبهم قلبي، وإلى كل من كان له أثر جميل في حياتي، أهدي هذا  
العمل المتواضع، راجياً من الله أن يجعله علماً نافعا وعملاً مباركاً.

كرامة وليد

مقدمة

لا شك أن الأدب الجزائري الحديث، يعد من أبرز المجالات التي تجلّت فيها صلة الكلمة بقضايا الهوية والإصلاح ومقاومة الاستعمار، إذ لم يكن الأدب في ظل لاحتلال الفرنسي نشاطا جماليا منفصلا عن الواقع، بل أصبح وسيلة للدفاع عن الدين واللغة والشخصية الوطنية، وأداة لتكوين الوعي ومواجهة محاولات التجهيل والاقتلاع الثقافي.

وفي هذا السياق، برز الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واحدا من أعلام النهضة الجزائرية، جامعا بين العالم والمصلح والخطيب والأديب والكاتب السياسي. فقد أسهم في التعليم والإصلاح، ودافع عن العربية والهوية الإسلامية العربية، وجعل من القلم وسيلة لتنوير المجتمع ومقاومة الاستعمار. كما ارتبط نشاطه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبصحافتها، ولاسيما جريدة البصائر.

ولا تنحصر أهمية الإبراهيمي في مواقفه الإصلاحية السياسية، بل تتجاوزها إلى ما خلفه من إنتاج أدبي متنوع، اتسم بقوة العبارة، وجزالة اللفظ، وثراء الصورة، وحضور التراث، والقدرة على تحويل القضايا الفكرية والوطنية إلى نصوص ذات بناء فني مؤثر. فالأدب عنده لم يكن منفصلا عن قضايا المجتمع، بل وسيلة لإصلاح العقل وتقويم السلوك.

ومن ثم، فإن دراسة أدبه تقتضي النظر في القيمة الفنية والأسلوبية. وعلى ضوء هذا انطلق محمد عباس في كتابه "البشير الإبراهيمي أديبا"، إلى إبراز هذا الجانب الأدبي من شخصية الإبراهيمي. فكان كتابه من الدراسات التي سعت إلى إخراج الإبراهيمي من حدود الصورة التقليدية التي تقدمه عالما ومصلحا وسياسيا، إلى إعادة قراءته بوصفه صاحب تجربة أدبية وفنية لها خصائصها ومقوماتها.

والكتاب في أصله كان رسالة ماجستير أعدت في جامعة بغداد سنة 1983م، ثم صدر في صورة كتاب عن ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية سنة 1987م.

ولقد جاء اختياري لهذا الموضوع توجيهيا من أستاذي المشرف معمر الدين عبد القادر، بعد استشارته وفقا لتخصصه واهتمامه بالأدب العربي بعامة، والأدب الجزائري بخاصة. حيث اقترح عليا الموضوع، فكانت بداية رحلة البحث من جمع المادة إلى الكتابة. وأود أن أذكر ما أثاره لدي هذا الاختيار من اهتمام ورغبة وحماس في اكتشاف مسيرة الشيخ البشير الإبراهيمي الفكرية والعلمية.

وكانت دراستي لهذا الموضوع مستندة لبعض الأبحاث السابقة حول البشير الإبراهيمي، بعضها زودني به أستاذي المشرف مثل، كتاب محمد مهداوي "البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه"، و"فنون النشر

الجزائري الحديث " لعبد الملك مرتاض، والكتاب محل الدراسة، الذي شكّل المصدر الأساس الذي انطلقت منه إشكالية المتمثلة في الأسئلة الآتية:

- إلى أي مدى نجح محمد عباس في إبراز البعد الأدبي في شخصية البشير الإبراهيمي؟
- وماهي الخصائص الأدبية لكتابات الإبراهيمي كما عرضها الكاتب؟
- وهل ركز المؤلف على الجانب الإصلاحي أم الأدبي؟
- ثم ما هو المنهج النقدي الذي اعتمده محمد عباس؟
- وما القيمة العلمية للكتاب في الدراسات الأدبية؟

وتكمن أهمية دراسة محمد عباس في كونها تبرز الجانب الأدبي لشخصية بارزة في التاريخ الجزائري، كما من شأنها الإسهام في الدراسات الأدبية الجزائرية الحديثة، وعمل بشكل كبير على إغناء البحث الجامعي حول علم من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خاصة وأن الإبراهيمي يمثل أحد أقطاب الفكر الجزائري، وأحد رواد النهضة الأدبية الحديثة، من حيث جمعه بين الإصلاح والتربية والسياسة.

كما يهدف هذا البحث إلى تحليل مضمون كتاب محمد عباس، والكشف عن الخصائص الفنية في أدب الإبراهيمي، وتقويم منهج محمد عباس في الدراسة، كما تبرز العلاقة بين الأدب والإصلاح عند الإبراهيمي، معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي لعرض محتوى الكتاب لأنه الأنسب في هذه الدراسة.

ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه الرسالة، هي عدم تمكني من الوصول إلى المعلومات الكافية حول صاحب الكتاب، حيث كنت أرغب في وضع سيرة ذاتية له، وأتطرق إلى الظروف التي دفعته لإعداد هذا العمل... غير أنني لم أعتز على أي خيط يوصلني إلى ذلك، وقد أطلعني بعض الأساتذة ومن عمل معهم أنه لم ينشر شيئا عن شخصه.

فجاءت خطة البحث مقسّمة إلى ثلاثة فصول، يتضمّن كل فصل منها مبحثين، وذلك على

النحو الآتي:

الفصل الأول: الإطار النظري والتعريف، وقد حُصّص مبحثه الأول للتعريف بمحمد البشير الإبراهيمي، من خلال التعرّض لحياته ونشأته ودوره الإصلاحي. أمّا المبحث الثاني، فقد تناول التعريف بمؤلف الكتاب، وظروف تأليفه، وموضوعه، وبنيته.

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: ملامح الأدب عند الإبراهيمي، وقد جاء في مبحثين؛ تناول المبحث الأول الأغراض الأدبية، مع التركيز على المقالة بأنواعها، ولا سيما المقالة الإصلاحية، والمقالة الأدبية، والمقالة السياسية. أما المبحث الثاني، فقد حُصِّص لدراسة الخصائص الأسلوبية، من حيث البيان والبلاغة، والنزعة الخطابية، وأسلوب التهكم.

وأما الفصل الثالث: القيمة النقدية للكتاب، فقد عالجتها من خلال مبحثين؛ تناول المبحث الأول نقاط القوة، من حيث إبراز الجانب الأدبي، وتوثيق نصوص الإبراهيمي، والربط بين الأدب والإصلاح السياسي. في حين حُصِّص المبحث الثاني لـ نقاط الضعف، والمتمثلة في تغليب الطابع الإعجابي، ومحدودية التحليل النقدي العميق، ونقص المقارنة مع أدباء آخرين.

وحُتم البحث بخاتمة أبرزت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة كتاب محمد عباس حول البشير الإبراهيمي، راجيا من المولى عزّ وجلّ التوفيق والسداد، فإن كان من توفيق فمنه سبحانه وتعالى، وإن كان من زلل أو نقص أو خطأ فمن نفسي.

كرامة وليد: في - قرية السعيدة - عين تموشنت

2026/09/05.

# الفصل الأول: الإطار النظري والتعريف

### 1- التعريف بمحمد البشير الإبراهيمي:

#### أ- حياته ونشأته:

تحمل اجتهادات الباحثين في ترجمة سير الأعلام قدرا كبيرا من القيمة العلمية في سبيل التعرف على مآثرهم والتعريف بهم، وفي سبيل ذلك قد لا يجد الباحث أوفى وأصدق مما يكتبه هؤلاء الأعلام في سيرهم الذاتية. ولعل ذلك من أبرز ما ساعد صاحب الكتاب في دراسة وتحليل وفهم فكر وشخصية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وتوجهه الفني بكل سلاسة ووضوح، وعلى ضوء ذلك قام الدكتور محمد عباس بتقديم تعريف لشخصية الإبراهيمي معتمدا في ذلك على مقالة "أنا" 1 للبشير الإبراهيمي كأهم مصدر في التعريف به إذ يقول فيه عن نفسه: «أنا محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي، المولود يوم 13 شوال 1306هـ - 14 يونيو 1889م بولاية سطيف» 2 شرق الجزائر.

ولا يخفى على المطالع لهذه المقالة أن الشيخ من عائلة غير غريبة عن العلم، ولا مدخرة جهدا في سبيل تحصيله بالحل والارتحال عبر حواضره في أصقاع البلاد العربية، ولا تتخرج من توريثه لأبنائها آبا عن جد. «قد بدأ البشير الإبراهيمي في التعلم بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد من سبقه من أقاربه ثم أقبل على حفظ عدد ليس بقليل من أمات الكتب في الأدب العربي والعلوم العربية» 3 مما يتضح جليا في معظم مقالاته الإصلاحية والسياسية والدينية فلا يكاد القارئ له يجد صعوبة في اكتشاف مدى تضلعه في الأدب وملاحظة الصبغة التراثية العربية الصرفة الطاغية على أسلوبه.

1- هذا حديث كتبه الشيخ جوابا على أسئلة مجلة "المصور" المصرية، ونشر في سنة 1955، ينظر الشيخ البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، أبو

القاسم سعد الله ص 89

2- ينظر محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1987، ص 32

3- ينظر، المصدر نفسه، نفس الصفحة

ففي سن العشرين من عمره، سار البشير الإبراهيمي على خطى «والده»<sup>1</sup> بالهجرة إلى الشرق قاصدا المدينة المنورة «وفي طريقه هذه استقرت به عصا الترحال في القاهرة مدة ثلاثة أشهر.

حضر فيها دروس العلم بالأزهر، وتعرف فيها على كثير من أعلامه»<sup>2</sup> ولأن الأزهر كان لسنوات طويلة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية قبلة يحج إليها طلبة العلم، خاصة المتبحرين منهم في علوم اللغة العربية، وأصول الفقه، والدين، وجملة من العلوم النقلية.

وجد الإبراهيمي في أكنافه مرغما يستزيد منه في تنوير سريته بمخالطته المشايخ والأعلام حين يلقي أقران العلم الأقران، كما يذكر أنه التقى بشاعر النيل حافظ إبراهيم في بعض نوادي القاهرة وزار أحمد شوقي وأسمع كل واحد منهما من أشعارهما التي يحفظها فقال عن شوقي:

«وأسمعت عدة قصائد من شعره من حفطي فتهلل، واهتزّ وأنه أسمع حافظ إبراهيم أيضا من شعره. «<sup>3</sup> فكثرة الحفظ وسعة الحافظة خصيصتان تلازمان أهل العلم، لم يزل الإبراهيمي يتمتع بهما ويشحذهما من شتى بحور المعرفة والثقافة منذ سنوات حياته الأولى في دواشر مسقط رأسه بولاية سطيف بالجزائر، وحتى بلوغه أرض الحجاز.

1 - هاجر والد البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي وتحديدا إلى المدينة المنورة سنة 1908 فرار من ظلم فرنسا متخفيا فالتحق به الإبراهيمي سنة

1911 متخفيا مثل والده، ينظر: آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي 1، ص32-33

2 - ينظر: محمد عباس البشير الإبراهيمي أديبا، ص33

3- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حيث يذكر أنه التقى بالعالمين الكبيرين الشيخ «الوزير التونسي»<sup>1</sup> والشيخ «حسن أحمد الفيض أبادي»<sup>2</sup> معترفا لهما بعلمهما فقال: «أنهما شيخاي، والحق يقال، عالمان محققان واسعا أفق الإدراك في علوم الحديث وفقه السنّة»<sup>3</sup>.

ولقد كان لهذه الهجرة والتجربة دور واضح المعالم في بناء الشخصية الفكرية والأدبية في حياة الإبراهيمي، فقد عاد منها إلى الجزائر سنة 1920 يحمل علما، وفهما، وخبرة في التدريس، والقاء المحاضرات والمناظرات التي تساعده في فهم الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر.

والتي بنى على أساسها منهجه الإصلاحية رفقة صاحبه الشيخ عبد الحميد بن باديس، بعد أن كانا قد عزموا أمرهما على أن يأخذا بيد الأمة الجزائرية، منذ لقائهما الأول في أرض الحجاز وعزموا على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما أشار إليها صاحب الكتاب بقوله:

«أول لقاء جمع بينهما في المدينة المنورة سنة 1913 حيث كان الاتفاق المبدئي والخطة الأولى لمشروع تأسيس جمعية إسلامية»<sup>4</sup> تنقذ الأمة من براثن المستعمر الفرنسي الغاشم الذي لم يدخر جهدا في سبيل محو الشخصية الإسلامية والعربية من الجزائريين بمختلف الطرق، عسكرية كانت، أو سياسية، وخاصة منها مفسدات العقيدة من المغالطات، فكانت هذه أولى خطوة يسعى بها الإبراهيمي رفقة صاحبه بن باديس لبداية مشروعهما الإصلاحي.

### ب- دوره الإصلاحي رفقة ابن باديس:

الحديث عن الدور الإصلاحي الذي قام به الإبراهيمي مع صاحبه بن باديس، هو وقعا حديث عن فضل الشمس على الكواكب.

1 - هو محمد العزيز بن محمد الوزير من عائلة تونسية عريقة درس في تونس ثم هاجر إلى المدينة المنورة ودرس بها، وجاء تعريفه في مجلة التضامن الإسلامي الحجازية أثناء ترجمة الشيخ محمد العربي التباني: ومن مشايخه أيضا في المسجد النبوي العلامة المدقق عبد العزيز الوزير التونسي توفي الشيخ الوزير سنة 1338 بالمدينة المنورة ودفن بها، قرأ عليه البشير الإبراهيمي وشهد له بأنه أحسن من كان يقرأه في عصره بالمسجد النبوي الشريف.

ينظر: المازري أبو عبد الله، المعلم لفؤاد مسلم، ج 1، ص 244 - 245

2- هو أحمد بن حبيب الله بن بير علي الفيض أبادي، العالم المحدث الشهير، حسن أحمد الفيض أبادي (1878-1957 م)، ولد في الهند بقرية بانكمو، عالم محدث في المسجد النبوي الشريف، ومؤسس مدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة التي أنشأها لرعاية يتامى المدينة المنورة، كما ساهم في إثراء الحركة الثقافية بتأسيس مطبعة حيفاء، ينظر: محمد علي المغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ج 4، المكتبة الشاملة، ص 11

3- ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 34

4 ينظر: المصدر نفسه. ص 49

فبعد أن عاد الإبراهيمي من أرض الحجاز إلى الجزائر، التحق بابن باديس الذي كان قد سبقه إليها من الحجاز بحوالي ثمانية سنوات وباشّر في ضحذ الجهالة الجهلاء والظلال العمياء، التي كان المستعمر قد زرعها في الهوية والشخصية الجزائرية.

وظل يسقيها بالبدع والخرافات ويذهب فيها كل مذهب حتى أتته يد فحاسة، تقذف بسعودها شيطان عدا طاف بسمائها، وأرضها يبغى لهويتها وخيراتها مسترقا، فما انفكت تحرقه بنور العلم والدين حتى احترق. لقد رأى الإبراهيمي حين وصوله إلى قسنطينة «كتيبة هي الأولى من جند الجزائر قوامها ألف تلميذ، شبانا ممن تخرج على يد ابن باديس وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة، وتركيب عربي حرّ، ومعان بليغة، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة»<sup>1</sup>.

من هنا انطلقت جهود الإبراهيمي بمعية صاحبه في اصلاح ما أفسده دهر المستعمر، مقسمين على أن تغدو الجزائر عربية مسلمة كحالتها قبل الاستعمار، متخذين في ذلك سبيل العلم والكلمة سلاحا، فكانت كلمتهما ونهضتهما الحضارية، والفكرية في نفوس الجزائريين أصدق أنباء مما يمارسه المستعمر من ظلم عليهم. فكانت أول كلمة عجلت بها قريحتهما إليه هي، «المنتقد»<sup>2</sup> فشكّت ظلمة ليل أرخى سدوله على أمة مسلمة بأنواع من الظلمات، ليس لها سوى أن تنجلي.

وحين كان البحر عميقا، والسفر طويلا، والعقبة كؤودا، كانت "المنتقد" في محل الناقد البصير، وكانت تخلص العمل بجرأة ووضوح، وشعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"<sup>3</sup>، لم تكن إدارة التحرير فيها تخشى في قول الحق لومة لائم، إذ أزمعت أمرها على إبطال أول فكرة كانت لازمة يرددها أصحاب الباطل لإبطال العقل عن تمييز الحقيقة من الزيف، وعدم التدبّر بالعقل المنير هي «اعتقد ولا تنتقد»<sup>4</sup>.

مما يجعل العقول تصدّق وتستهلك كل ما يقع عليها من علم، وعمل من الفكر المريض الذي كان يسود، ويسوس الأمة حين ذك فكانت: «أول صحيفة من هذه الجريدة تحمل ... تنتقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء

1 - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، "أنا"، مجلة الثقافة العدد 87 سنة 1405 هـ - 1985 م، ص 20

2 - جريد اسبوعية اصدرها ابن باديس صدر اول عدد منها الخميس 02 جويلية سنة 1344 هـ - 1925 م

3- ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ص413

4- المنتقد، ع 1 - 1344 هـ 1925 م، ص14

والمقاديم وكل من يتولى شأنًا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين وتناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين»<sup>1</sup>

فمن خلال ما سبق يجد الدّارس لهذه المرحلة من تاريخ الجرائر أن الدور الاصلاحى الذي مثله الإبراهيمي مع صاحبه لإخراج الأمة من ظلمات المعتقدات، إلى تنوير العقول وتحريرها من مفاصد الأفكار التي يزرعها المستعمر في الجزائريين ليمنعهم من مقاومة الباطل، فتحرير العقل من البدع والخرافات هو أول مرحلة يمكن للمفكر في النهضة أيا كان اتجاهها أن يبتدىء بها.

وهذا هو مبلغ سعي الرجلين من خلال نشر التعليم والنقد الإصلاحي، فكانت مقالات "المنتقد" الناقدة للواقع، هي النافذة التي يستطيعان من خلالها النفوذ إلى الجماهير الجزائرية والعربية

«فإن دعى مجادل في أمرهم إلى مرا  
فلا تماري فيهم إلّا مرأى ظاهرا»<sup>2</sup>

وليس هنالك أظهر من إيمانهما «بأن الاستعمار لا يدوم في أمة تأمن بالله»<sup>3</sup>، وهذا دوره الاصلاحى رفقة ابن باديس.

### ج- بعد وفاة ابن باديس:

لم تخرج جهود الإبراهيمي بعد وفاة صاحبه ابن باديس عما كانت عليه قبل فقد واصل بنفس المنهجية الاصلاحية وانتخب رئيسا للجمعية من بعده.

«منذ نشأت الجمعية إلى لحظة توقفها المثمر، فقد توزعت أعمالها على جوانب متعددة بين الاصلاح الاجتماعى

1- ينظر: محمد عباس، البشير الابراهيمى، ص 42 - 43

2- الحسن طيب بن عمر، سلفية واعلامها في موريتانيا، شنقيط: عرض لتاريخ السلفية... <http://books.google.dz>، ص 226

3- محمد عباس، البشير الابراهيمى ادبيا، ص 44

وتربية الأجيال وبين ثورة على المستعمر واسترجاع للهوية الجزائرية وتثبيت للشخصية العربية الإسلامية وإيقاظ للوعي الانساني<sup>1</sup>.

وهو ما اشتغل عليه الإبراهيمي حيث راح ينشئ المدارس ويلقي المحاضرات ويؤسس لبناء جيل معرب يستند في تكوينه على خلفية تراثية عربية محضة.

ويمثل تيارا معاكسا لمخطط الاستعمار الذي يسعى ضحدها - الهوية العربية - فكانت منطقة وهران مرتكزا لنشاطه الإصلاحية والتعليمي، فبعد توليه المنطقة من قبل أصحابه الذين عزموا على أن يتوزع جهادهم في المناطق التي تركز فيها القيادة الاستعمارية بشكل أكثر.

«اتخذ من مدينة تلمسان معقلا له وكان من أول الأعمال الإصلاحية التي قام بها هناك أنه صالح بين قبيلة "الكراغلة والحضر" فكانت هذه أول خطوة إصلاحية يخطوها جعلت له أثرا طيبا في نفوس من يظنون به الظنون، فأعجب به الناس، وطلبة العلم خاصة، وبمقدرته على النفوذ إلى الجماهير ومخاطبة كل الفئات بما يليق بمستواهم.

فساعده ذلك على اكتساب ثقة الناس، وإعانتته بما يحتاج إليه من معونات مادية ليأسس أول مدرسة سماها بدار «الحديث»<sup>2</sup>. إن حرصه على بناء المدارس، وتأسيس النوادي الثقافية، وتعليم الناس مالا يعلمون، كان من أهم بؤادر النهضة التي أسس لها مع صاحبه، وخاصة أنها لم تتعطل رغم محاولات المستعمر التضيق عليها، بل انتشرت كالنار في الهشيم، وربما يرجع ذلك إلى كون الشعب الجزائري قد ضاق ذرعا، وملت نفسه من سنين الذل.

فراى في مشروع الإبراهيمي، وجمعية علماء المسلمين منفذا للخلاص من سوداوية العيش بين سلطة المستعمر وتضليل الصوفية «فيلاحظ الباحث أن الحركة الإصلاحية بعد أن حمل لواءها الإبراهيمي، وقاد حركتها مضت قدما إلى الأمام ... وتضاعف رجالها وعمّت في المجتمع اثارها»<sup>3</sup>.

وحققت ما كان يسعى إليه صاحبه الذي فارق الحياة وتركه على العهد، ولا ينحصر دور الإبراهيمي في قيادة الجمعية والتعليم فقط، بل إن الباحث لا يجد للرجل باعا في الصحافة الجزائرية لا يقل شأنًا عما هو عليه في المجال التعليمي.

1- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

2 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبيا، ص 47-48

3 ينظر: عبد المالك مرتاض، فنون النشر الادبي في الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص51

فلقد عرفت الساحة العربية من جزالة الكلمة لدى الإبراهيمي، وسلامة التركيب، وعمق الفكرة، وبعد الرؤيا الموضوعية ما يقل نظيره أو يكاد يكون منقطع النظير خاصة في الفترة التي كان يعاصرها.

### د- مكانته الأدبية:

من الجدير بالذكر أثناء الحديث عن شخص الإبراهيمي، التّطرق إلى مكانته الأدبية، التي ما تنفك تعترض الباحث في كل مقالة يقرأها قراءة سطحية أو معمّقة. فمنذ كتاباته الأولى في جريدته المنتقد في سنة 1925 عرف قلمه بتميز الذائقة، وبعد النظرة، وحلاوة الفكرة، وسرعة النفاذ الى نفسية القارئ، ولا يخفى على الباحث أن أكثر ما يبرع فيه الإبراهيمي، هو المقالة بالرغم من طرقه للعديد من أنواع الفنون الأدبية بين الشعر والنثر. «ولكن المقالة تأخذ حصة الأسد من أدب الإبراهيمي، وتغطي مساحة كبيرة في حقل الأدب الجزائري الحديث بفكره وكتاباته»<sup>1</sup>. فهي تعكس مقدرته على النقد والتحليل، ومعالجة القضايا بالمنطق، وذلك لما لها من خصائص فنية ربما كان أهمها الإيجاز وإبراز صلب الموضوع دونما كثير اطناب من جهة، وما «يمتلكه من الأسلوبية التي ميزته عن غيره من كتاب النثر الجزائري الحديث عامة»<sup>2</sup> من جهة أخرى.

وخاصة أن بعض الدارسين يرى أنه ينتمي إلى مدرسة بلغاء العرب، وكتابهم، وخطبائهم المشهورين، فمن خلال كتاباته الإصلاحية في الكتب والجرائد التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين.

كان إلى جانب ذلك «يضع للأدب العربي الجزائري الحديث أساساته إن صحّ التعبير، أو لنقل كان يضيف عليه حلية تزيينه»<sup>3</sup> ففي المجال الصحفي، اقتحم فن المقالة بمجالاته السياسية، والاجتماعية، والنقدية وفي الملتقيات والمنابر العلمية.

كذلك كان الخطيب الرطب اللسان في أي مجال يخوض فيه خطبته، أكانت سياسية، أو دينية، كذلك مع الرسائل، ويعد من أكثر رجال الجزائر وكتابها نشاطا في الكتابة الأدبية، خاصة في جريدة البصائر الثانية التي عرفت قدرا كبيرا من مقالاته التي جمعت في كتاب "عيون البصائر". وقد لا يبدو مثل هذا الرأي مبالغ فيه إذا ما رأيناه يحقق الشرطين الأساسيين أي صنعة أو فن وهما الجودة والكثرة

1- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ص136

2- ينظر: المصدر، نفسه، ص134

3- المصدر نفسه، ص34

فقد ألزم النقاد نتاجه الأدبي أن يضعوه في دائرة بلغاء العرب، وتشهد على ذلك كتاباته في الصحافة العربية على العموم قبل الجزائرية على الخصوص.

وإن أدق تتبع لمكانته الأدبية، قد يجلوا بوضوح في جريدة البصائر الثانية، ويعود ذلك لما كان قائما بينه وبين أقرانه من الكتاب والمشايخ في صراع فكري ثقافي، يدعوا كلا منهم ليؤتي كل ما لديه من جمال في التعبير وبعد في النظر ودهاء في صنعة الكتابة حتى "ملاً الجزائر بمقالاته الأدبية ذات الأسلوب الأنيق"<sup>1</sup> التي قد نقف على بعضها بالدراسة والتحليل من خلال ما سبقت إليه دراسة صاحب الكتاب محمد عباس.

الفصل الثاني  
ملاح الأذب عند الإبراهيمي في  
الكتاب

## I - الأغراض الأدبية: ملاحم الأدب عند الإبراهيمي

تتعدد الأسباب وتختلف الظروف التي ينشأ في رحمها الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعية تعكس واقعا سياسيا معيناً، أو كلاهما معاً، ولا شك أن الأدب الجزائري في مجمله وباختلاف أغراضه يؤكد هذه النظرة النقدية وذلك في علاقة المجتمع بالأدب، فقد مثّل في فترة الاستعمار صنعة لبوس ضدّ المساعي الاستعمارية.

ولعل ذلك ما جعل صاحب الكتاب ينجح في دراسته هذه إلى تسليط الضوء على النثر الفني للإبراهيمي وخاصة المقال منهُ، لأنه طغى على معظم انتاجه الفني، خاصة أنه كان - أدب الإبراهيمي - ذو اتجاه إصلاحى محظ ساهم في صقله الصراع الفكري بينه وبين معاصريه.

وليس يخفى على الباحث «أنّ ظهور فن المقالة الأدبية في الجزائر ارتبط بظهور الصحافة»<sup>1</sup>. لقد كانت الصحف في الجزائر تمثل المنبر الذي تنشر فيه هذه المقالات لتؤدي وظيفتها في المجتمع من منطلق اصلاحي فإمّا أن تكون سياسية، أو اجتماعية، أو نقدية ...

غير أنّها لا تخرج عن الجانب الاصلاحى فمعظم الصحف التي كانت تصدر عنها، هي لجمعية العلماء المسلمين ويرى صاحب الكتاب بأنّه: «لم تكن حقيقة المقالة الأدبية خالصة لوجه الأدب في جوانبه الفنية بقدر ما كانت تبتغي تحرير الشعب الجزائري دينيا، واجتماعيا، وسياسيا، وهو الهدف الجوهرى الذي يمكن أن يسجل بأمانة لدور المقالة الأدبية في الأدب الجزائري الحديث»<sup>2</sup>.

وهذا يعني أنّها لم تكن أدبية بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، وأن غايتها لم تكن تخدم المعنى الفعلي بقدر وظيفتها الاصلاحية الجهادية إن صح التعبير.

فظاهر الواقع الجزائري آنذاك، وتسارع الأحداث بفعل الاستعمار، وسياساته الملتوية في التضيق على الكتاب بالعربية، لا يبدو أنّه كان سانحا لكتاب الصحف العربية، وخاصة ذات الاتجاه الاصلاحى منها، بالاعتناء بالجوانب الفنية، والمحسنات الجمالية، التي قد تعزب عن وعي مجتمع ليس بطويل عهد باللّغة العربية.

وعلى الرّغم من تلك الظروف في تلك الفترة تحديدا، عرفت الكتابة الجزائرية رعيلا متميزا من الكتاب «ونحسب أن هذه الفترة هي الازهى إطلاقا، فيما عرفت الجزائر طول سنوات الاحتلال الفرنسى ... لما استأثرت به

1 - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص135

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص136

من كتاب جزائريين أثروا الحركة الأدبية وفن المقالة بوجه خاص بما كانوا يملكون من مواهب وعبقريات ... فقد كانت هذه الطبقة تصنع لغة نقية فصيحة أحيانا، وأحيانا آخر جزلة قوية ... لا تنشر من المقالات إلا ما استوت فيها عربية قائمة على احترام القواعد النحوية مستكملة لأسباب الفصاحة»<sup>1</sup>.

وكان على رأس هذا الرعيل الشيخ البشير الإبراهيمي، لأنه ما كان يرضى للكتابات التي تنشر من البصائر التي كان يرأسها أن تكون بأقل من قيمة الجمعية التي تعبر بها عن حالها وتسعى بها لتكون لسان الشعب المناوئ عن حقه وآرائه في سياسة المستعمر وإدارته.

وربما هذا ما دفع بهذا النثر أن يكون ذو بصمة أدبية تعكس المدى الثقافي للحركة الجهادية والثقافية في رسم صورة للعربي والعربية على حد سواء، وأنهما ليسا بأقل منزلة من ثقافة المستعمر «والنخبة»<sup>2</sup> وهذا ما قد يفسر رأي صاحب الكتاب بأن هذه المقالات لم تكن خالصة لوجه الأدب.

وهو أيضا ما جعلها تكتسي ثوبا أدبيا راقيا فتعددت أغراضها بين السياسية، والنقدية، والاجتماعية.

#### أ- المقالة السياسية:

على غرار أغلب الباحثين في الأدب الجزائري، يرى صاحب الكتاب أن ظهور المقالة في الجزائر ارتبط ارتباطا وثيقا بظهور الصحافة، فبواسطتها كان الكتاب يستطيعون أن يعبروا عن مواقفهم وانتقاداتهم للواقع الاجتماعي عموما والسياسي خصوصا.

«ثم غدت المقالة تواكب الأحداث المختلفة على صفحات الصحافة»<sup>3</sup>، تراقب سيرورتها وتقف على ما يستوجب الوقوف منها وتناقش قضاياها حتى أصبح «الجزائري يجد أن هذا الأدب - المقالي - يتخذ من المقالة

1 - ينظر: عبد المالك مرتاض، فنون النثر، م.س، ص 86

2 - بدأ استخدام مصطلح النخبة في أواخر القرن 19 عشر، ويطلق على فئة معينة وهم خريجي مدارس الفرنسية وهم المتأثرين باللغة والثقافة الفرنسية، تمتلك هذه النخبة ثقافة فرنسية خالصة تميزه عن بقية العامة من المجتمع الجزائري إذ تم تصنيفهم ضمن زمرة الفئة المتحضرة. ينظر: بن سواف مريم، جوانب من النشاط السياسي للنخبة الجزائرية من 1900-1938 "النخبة المفرنسة أمودجا"، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

بجامعة زيان عاشور، الجلفة 2023، اطلع عليه يوم 2026/09/09 ساعة 12:30

3 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، م.س، ص 135

السياسية أداة نضال يقاوم بها الضغط الاستعماري ويجعلها منبرا يرتفع منه صوت الحق، يفيض بالكلمة المجاهدة من أجل نيل الإستقلال»<sup>1</sup>.

وبما أن الإبراهيمي كان من صناع الرأي العام في الجزائر، والكتابة الفنية صنعتها، فإنه كان على قدر من الجزالة والموضوعية في كتابة المقالة السياسية حتى أنه اعتبر من زعمائها، ويتأكد لنا ذلك من خلال الدراسة التي أجراها صاحب الكتاب في هذا الموضوع، حينما تعرض بالدّرس والتحليل، إلى مقالة «الذكرى 08 ماي» إذ يقول فيها الإبراهيمي «يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بروح الشهداء، خلعت شمسها طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين، يوم ليس بالغريب (رزنامة) الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن»<sup>2</sup> كتب هذا المقال على إثر العاهة التي تركها الاستعمار في تاريخ الشعب الجزائري باسم ذكرى ثامن ماي، يرى فيه صاحب الكتاب «شبهها في نهجه بالقصة القصيرة التي تعتمد على مقدمة تفتتح بها الموضوع، وعلى عرض تعالج به الحدث، وعلى خاتمة. تستنتج موقف الكاتب في تفسير الحدث»<sup>3</sup> وتأتي هذه الرؤية بعد التأمل في الاستهلال المدبج من طرف صاحب المقال الذي يصف الخطب بما ينبئ بحجمه.

ولكنه يجعل منه رغم ذلك يبدو كأنه حكاية سردية يقصّها على قارئه، فيجعل يتفنن في تصوير قساوة المشهد بما يحيط به من ظروف خارجية أو سياقات إن صح التعبير. ففي قوله: يوم مظلم الجوانب بالظلم... فإنه يضيف على الظلم ظلما اخرًا يزيد من مضاضته تطريز حواشيه بالدماء المطلولة، التي تجعل الأرض تقشعر من بطش الأقوياء، فإذا اقشعرت الأرض الجامدة، فكيف هو الحال بمن يقرأ المقالة، أو حتى بكتابها الذي يصف قساوة المشهد.

بل إن هذه الطريقة في سرد الواقعة تجتاز الوصف لتكون بمثابة الرسم، خاصة وأنه يستعمل الألوان بين سواد الظلم، والأحمر القاني، فيبدو يوم لا سعادة فيه ولا ابتهاج، إلا سعادة، وابتهاج السماء بحظها من أرواح الشهداء... ثم يطمأن القارئ بأن هذا الأمر، ليس بغريب عن رزنامة الاستعمار بهذا الوطن، فيدرك هذا الأخير أن هذه الوحشية الحيوانية التي يمارسها الاستعمار بهذا الوطن، هي جزء من واقعه السياسي اليومي، «ولا يكاد الإبراهيمي

1 - ينظر: المصدر نفسه، ص 141

2 - البشير الإبراهيمي، اثار الامام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)، د احمد طالب ابراهيمي، ط 1 ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 333.

3 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ص 142.

ينتهي من هذه المقدمة التي تشبه قطعة من الشعر، حتى يحاول أن يكتب عن الموضوع بموضوعية وواقعية، فيوسع الاستعمار تقريبا، ولوما على أفعاله الخبيثة التي منها قتل الشيوخ والنساء والأطفال»<sup>1</sup>.

بين الاعتناء بالاستهلال، وحسن التخلص إلى الموضوع بطريقة لا تنفك تفيض بالأدبية، نجده يغرف من معين التراث الأدبي ليستخلص الدروس والعبر بسلاسة في ربط المواضيع ببعضها البعض فيتساءل، «أين النعمان بن المنذر ويوماه، من الاستعمار وأيامه؟»، كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نعما، وبينهما مجال واسع للبحث، وملعب فسيح للحظ، فاذا طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتقي مع السعد في الطريق، فأما الاستعمار فأيامه كلها نحسات، بل دهره، كله يوم نحس مستمر، محيت الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلها سود حوالك، يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمم امنة مطمئنة»<sup>2</sup>.

لعلّ وعيه بالتراث العربي وعبره، هو أكثر ما يمنحه المقدرة الفذة على فهم الواقع السياسي القائم في عصره، ونقله بطريقة فنية تعكس عبقرياته التي لا تخفى على ذي عقل.

إضافة إلى الغيرة الوطنية، والنزعة الاصلاحية التي تدفعه للمضي قدما في كشف المستعمر والتعرض لسياسته الجائحة ضد الجزائريين العزل الذين يروحون ضحية مؤامراته دون وجه حق فيألب القارئ عليه.

والقارئ يعلم مسبقا أن النعمان ملك مستبد ظالم، يقتل من يصادفه دون أي ذنب، وعلى الرغم من ذلك فإن له يوما يعطي فيه ويجزل العطاء.

ولكن هذا المستعمر الغاشم كل أيامه ظلم لا يعطي فيها إلا الدمار والخراب، فهو أسوأ بكثير من الأول، وهذه المفارقة تكشف الجوهر الذي يخفيه هذا المستبد فتعمل على جعل القارئ بمقته ويحدد موقفه اتجاهه.

فتستميله المفارقة السابقة إلى الجانب العادل من القضية «ثم تستمر المقالة تستعرض حقائق أحداث الموضوع، وتعتبر بصدق، وتركز على الجانب الزمني، وهو ثامن ماي وعلى الجانب المكاني وهو الجزائر كما تركز على شخصيات الأحداث وهي الاستعمار والحرب والشعب الجزائري»<sup>3</sup>.

يستمر صاحب الكتاب وهو يتعرض لهذه المقالة بالدراسة، بالتعامل معها بطريقة القصة القصيرة مستعرضا بعض خصائصها التي تتوفر في هذا المجال من الزمان والمكان والشخصيات.

فشهر ماي، بين أشهر السنة هو بداية نضج الثمار ونهاية الربيع، فهو أمل لبداية جديدة، هو كما نهاية فصل تعقبه بداية فصل.

1- ينظر: عبد المالك مرتاض، فنون النثر الادبي في الجزائر، م.س، ص127

2- البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ص334

3- ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ص147

شهر ماي في الطبيعة، هو من يستلم من فصل الربيع ثماره، ويسلمها لفصل الصيف، ليبدأ موسم الحصاد وجني الثمار بعد أن يوصيه بها خيرا.

وهو ما كان الشعب الجزائري يأمله بعد نهاية الحرب مع الالمان، من جني ثمار الانتصار، لكنه خالف طبيعته في استلام أحلام الجزائريين الذين زرعوا دأبا ودفنوا أرواحهم في حرب لم تكن لهم فيها ناقة لا جمل، ليحصدوا السراب والخراب.

فسلمهم شهر ماي إلى المستعمر الغاشم يحصد أرواحهم، وأحلامهم، وثمار غلتهم بلا شفقة ولا رحمة، لقد جاء شهر ماي مخالفا للطبيعة، أما المكان فهو الجزائر الوطن الجريح الذي تدور فيه رحي الزمان بين الشخصيات المذكورة وهي الاستعمار والشعب والحرب.

واللأف في الأمر أن صاحب الكتاب يضع الحرب في خانة الشخصيات فيجعلها مشاركة في الأحداث وذلك لأنها تصطف مع المستعمر القوي ضد الشعب الأعزل الضعيف، فيبدوا صاحب الكتاب موفقا إلى حد بعيد في التعامل مع المقال السياسي للشيخ الإبراهيمي، على أنه يشبه القصة الصغيرة، إلى أن ينتهي المقال بهذه الخاتمة.

«يوم ... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والسمة التي لا تنسى، فكن من أي سنة شأت فأنت ثامن ماي وكفى، وكل ما لك علينا من دين أن نحبي ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسه النسيان من النفوس»<sup>1</sup>.

يوضح كاتب الدراسة أنّ صيغة التنكير والتعجب في قول الإبراهيمي (يا يوم ...) تعكس حجم الانشطار الذي يعتريه من وقع هذا اليوم، إلى درجة أنه لا يدري كيف يسميه وبماذا يصفه.

«فلم يعثر له على لفظ يليق به أو يليق بأحاسيسه المتوترة التي ترمي صاحبها إلى عالم التأمل العميق والشعور الحاد، بنفسية كثيرة الانقباض وكأنما ترتسم عليها مأساة الدهر الذي يعيشه عن قرب»<sup>2</sup> ثم يعقب تحليله بنقد لأصحاب الرأي.

في تحليل هذه المقالة القائلة «أن هذه الخاتمة تؤكد فكرة الإصلاح ... وهي أن الكاتب يهتم بالصياغة لا بالفكرة العميقة لأنه يدعو إلى تذكر هذا اليوم، وقد يكون التذكير دافعا للعمل الحاسم أو يكون مجرد ذكرى تمر بالخاطر»<sup>3</sup>.

1 - البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 335

2 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي اديبا، ص 147

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 148

يعقب على ذلك برأيه أنه ليس في النص ما يؤكد على أن صاحب هذه الخاتمة رجل إصلاحى لأنه يعالج ذكرى من تاريخ الجزائر، يجب على كل كاتب مسؤول أو وطني بحق أن يقف عندها، ولا يمر بها مرور الكرام، أي يتوجب عليه التوقف واستذكارها على الأقل، فيرى أن المقال في مجمله لا يعكس شخصية الأديب الإصلاحي بقدر ما يعكس إحياء ذكرى أخذت في النفس كل مأخذ. «لذلك فلا يجوز الخلط بين مضامين النص وبين شخصية الكاتب لأن النقد الأدبي لا يقبل أن يكون الحكم خارجا عن النص ولا يتعدى إل الكاتب إذا انعدمت أسباب العلاقة بين الكاتب وأثره، فهذه الخاتمة لا تكشف للدارس مهما حاول أن الكاتب رجل إصلاح»<sup>1</sup>. ونظرة الدكتور إلى هذه القضية نظرة محايدة تحقّق للنقد الأدبي حقه وتطبق له شرطه.

#### المقالة الاجتماعية:

يرى صاحب الكتاب أن المقالة الاجتماعية عند الإبراهيمي على صلة وثيقة بنظيرتها السياسية وذلك من منطلق أن «كلاّ منهما تعالج موضوعات تمس محيط الكاتب وقضايا عصره المختلفة، فتتفاعل معها على قدر انفعاله وتجربته بالموضوع والحدث»<sup>2</sup>. وذلك التفاعل هو ما يكسب المقالة الاجتماعية إشراقها الأدبية ويجعل منها: «نماذج راقية من فن الكتابة ... ذلك وأن مظاهر الأناقة والبلاغة في لغة الإبراهيمي، لا تتحاشى العقل، ومخاطبة الضمير، فيحس القارئ في كثير من الأحيان أنه المخاطب الفعلي، فيشارك الكاتب إحساسه ويقاسمه شعوره»<sup>3</sup>. وهذا الشعور لا يمكن أن ترقى إليه الكتابة الاجتماعية إلّا إذا كانت نابعة من وجدان الأمة، وفهم عميق لأسباب ومسببات مرضها، وهو ما أعرب عنه الإبراهيمي نفسه حين قال: كان من نتائج الدراسات المتكررة بيني وبين ابن باديس ... إن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين ات من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أخرى من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويعترقان لحمه، ويفسدان عليه دينه ودينه»<sup>4</sup> فمعرفته الكبيرة لأسباب البلاء تجعله يجيد النفاذ إلى وعي الجمهور القارئ للجرائد التي تنشر له.

ولا شك أن ذلك هو الصواب من رأي صاحب الكتاب، لأن المجتمع هو الميدان الذي تعرض وتجسد فيه المطبوعات السياسية من أفكار ومشاريع، ولا سيما أنّ الإبراهيمي كان على أهبة منبر سياسي واجتماعي في ان واحد «حيث كان يرأس الجمعية ويقوم على إدارة تحرير جريدة البصائر ويصحح نماذجها ويكتب الافتتاحيات..

1 - المصدر نفسه، نفس الصفحة

2 - المصدر نفسه، ص153

3 - ينظر: عبد القادر معمر الدين، مقومات المقالة عند البشير الإبراهيمي، مجلة الموروث، م9، ع2، 2021، جامعة مستغانم، الجزائر، ص90

4- محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الثقافة، انا، ع87، وزارة الثقافة السباحة، الجزائر، 1985، ص29

الح<sup>1</sup>، ففي المجال السياسي كان منتقدا ومعارضاً محنكا، بارع في معارضة السياسات الاستعمارية، بتفكيك أهدافها وتسيير الجمعية على خلفية هذه المشاريع، ليكون عملها تيارا معاكسا لتلك السياسات، وفي المجال الاجتماعي، كان ذو قلم اصلاحي نفاذ في معالجة القضايا والمشاكل والآفات.

بمحاولة إيجاد الحلول لها عن طريق التفاعل معها بكل صغيرة وكبيرة، والنقاشات المجدية والتحليل العميق الذي من شأنه أن يهوّن من وطأتها على الأقل.

وبغض النظر عما تتفق عنه كتاباته من نتائج إصلاحية تنتشر كالنار في مجتمع مهشم، فإن صاحب الكتاب يلفتنا إلى الجانب الفني من هذه الكتابات التي يلبسها كاتبها ثوب الأدبية مفصلا بأحاييل البلاغة ومطرزا بأساليب البيان، التي يستجديها وهو في خضم المهمة الإصلاحية من نقاش وتحليل، فتجديه بدون عناء.

ومن ذلك ما جاء به صاحب الكتاب في جملة آرائه إذ يقول: «يحسن الذكر في هذا المقام أن المقالة الاجتماعية لا تضيق ذرعا حين تبتعد عن المجتمع الجزائري وتذهب إلى معالجة ظاهرة اجتماعية معينة ... فحين يتناول قلم الإبراهيمي موضوع "الإنسانية" بالدراسة والتحليل فإنه يجد حريته المطلقة في التعبير والتصوير، فتتسع عنده ملاحم الرؤية الاجتماعية إلى البنى الإنسانية، وتتجلى التجربة الشعرية في المعناة الذاتية حينما يحاول الكاتب الإحاطة بالفكرة رغم اتساعها المطلق»<sup>2</sup>.

وهذه الإحاطة بالفكرة على الرغم من اتساعها، لا تتأتى للكاتب إلا إذا كان ذو تجربة شعرية قوية تجعل من لغته مساوية لمدى تجربته التي ينزع فيها إلى شرح المعاناة الذاتية، والذاتية في مقالات الإبراهيمي إنما هي نقد وتوصيف للأوضاع الاجتماعية المزرية التي يسعى إلى إصلاحها.

وهي الأوضاع التي ينعكس أثرها على النفسية، فتتبدى في «مقالة اجتماعية تصور جوانب واقعية من عصره وشؤون مجتمعه لتكون حارسا أميناً ومربيا حاذقا يحارب الانحلال الخلقي وتقاوم الآفات الاجتماعية وتبني الشخصية الجزائرية وتعدّها إعدادا وطنيا سليما»<sup>3</sup>.

وفي مقالة له بعنوان الإنسانية آلامها وويلاتها يتعرض لها صاحب الكتاب بالتفاعل والنقاش نلتمس ذلك الجانب الفني في مقدرة الكاتب العجيبة على الإحاطة بالفكرة الواسعة و«تخريجها في قطع كالشهد»<sup>4</sup>.

1- المصدر نفسه، نفس الصفحة

2 - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 153 - 154

3 - ينظر: المصدر نفسه. ص 153

4 - معمر الدين عبد القادر، م.س، ص 90.

يقول فيها: «الانسانية تلك الأم الرؤوم التي لا تحابي واحدا من أبنائها دون الآخر ولا تميز بين بار منهم وفاجر، ولا تفرّق بين مؤمن وكافر تلك الأم المعذّبة بالويلات والحزن، من ويلات الحروب التي أتلفت الملايين إلى ويلات الأمراض والطواعين إلى ويلات الزلازل والبراكين ...»<sup>1</sup>.

يرى محمد عباس أن الإبراهيمي في هذه المقدمة يحاول أن يعطي للإنسانية تعريفا أدبيا، إذ يصوّرها بمنزلة الأم التي لا تستطيع أن تميز بين أبنائها وذلك أقرب الآراء إلى الصواب، لأنها تشمل كل البشر بغضّ النظر عن الخصال والاختلافات، والفروقات بينهم.

خاصة وأنه يتبع أسلوب التشخيص والتجسيد، وذلك بشرح عذاباتها التي تكابدها كل أم وهي ترى تمزّق أبنائها بين الآفات الاجتماعية، الناتجة عن الاختلافات والتفاوتات بينهم في العلم والقوة ... الخ

وعلى بساطة الأسلوب في هذه المقدمة وتراكيبه اللغوية، من حيث استعمال المفردات فإن سبك الفكرة وصياغتها وانسياب المعاني فيها يبين عن مدى فهم الكاتب العميق، ونقاء سريره في معالجة الموضوع الذي يعرف جيدا أسبابه، ولماذا يبدو كما يصوره، «ومن ذلك فإن الموضوع الإطار - الإنسانية - ليست موضوعا أدبيا، بل الإبراهيمي بتصويره المعبر الموحى وانفعاله الناشئ عن هذا التصوير هو من يجعل نقلها إلينا نقلا موحيا يثير في نفوسنا انفعالا مستمدا من الانفعال الذي صاحبها في نفس قائلها»<sup>2</sup>.

وهذا التصوير والانفعال الذي نلمحه في أسلوب صاحب المقالة، يبدوا شديد التوفيق في معالجة موضوع الإنسانية بطريقة أدبية حسب رأي صاحب الكتاب الذي يرى أنه ما من وجود «لتمويه المعاني أو تغيير فيها ومثال ذلك قوله (لا تحابي واحدا من أبنائها دون الآخر، ولا تميز بين بار منهم وفاجر، ولا تفرق بين مؤمن وكافر)»<sup>3</sup>. لأن استعماله لهذه المتطابقات المعنوية الثلاثة يبدو واقعا، رغم أن صاحب المقال يركب سبيل الإنشاء في معالجة فكرته، فالصفات المسندة في الأم التي يجسدها إنما هي صفات الأم في معناها الواقعي من حيث عدم مقدرتها على التمييز أو التفضيل بين أبنائها، بل تشملهم جميعا بأموئمتها.

فيبين بذلك عن الجانب الأدبي وذائقة الكاتب التي تطل «صراع الطبقات في المجتمع الحديث وهو حقيقة اجتماعية يحللها الرجل الاجتماعي ويذكر أسبابها، ويتتبع أطوارها ... فلا يكون عملا أدبيا بذلك ولكن

1- البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ص 62

2- ينظر: سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، د ط ، ص 13

3- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ص 155

الإبراهيمي، بصفته الأديب الموهوب تنفعل نفسه بهذا الصراع، ويعيش بإحساسه في غماره، فيصوره تصويراً إنسانياً، ينفل له من يقرؤه ويعيشه بشعوره مع أشخاصه وحوادثه»<sup>1</sup>.

كما أنّ صاحب الكتاب لا يرى منقصة من تكلف صاحب المقالة للسجع الذي يتهياً للقارئ العادي من أول ولهة بأنه لا طائل منه كما في قوله:

(... ومن ويلات الحرب التي أتلفت الملايين إلى ويلات الأمراض والطواعين إلى ويلات الزلازل والبراكين ...) لأن الحروب والأمراض، والبراكين مفردات تحدد السياق العام للمقالة، كما أنّها البنية المحددة للموضوع، وهي مكن الآفات التي يطرحها ويعالجها الكاتب، لذلك فإنّ ترتيبها على هذا النحو المسجوع لا يعيب المقالة، بل يضيف عليها جمالية تحدد شكلها الفني.

ويرجع ذلك إلى خلفية الكاتب المتشعبة بالتراث العربي الأصيل، من مصادره، لتجعل أسلوبه يحاكي الكتابة في عصورها الذهبية.

بعدما يتدرج صاحب الكتاب في مناقشة الأفكار الجزئية التي يعرضها الكاتب في بقية مقاله، وكيف يعرضها بأدوات أسلوبية مختلفة، مثل التعجب والاستفهام، حيث يرى أنّ نهاية الفقرة الأولى بأسلوب الاستفهام، إنما يتيح لصاحبها الإجابة عليه في الفقرة التي تليه، ليكون بذلك في محطّ مناقشة تستدعي منه طرح الفرضيات واستنتاج النتائج من خلال الوقائع التاريخية ومراحل التاريخ، فحين يقول «ألا وإن الإنسانية تستغيث فهل من مغيث وتستنجد فهل من منجد؟»<sup>2</sup>

وهو استفهام يختم به الفقرة الأولى من المقالة بعد المقدمة، فإنه «يفتح أمامه طريقاً لتناول الفقرة الثانية من موضع الإجابة والتحليل، ويقيم أسباب الرّبط بين عناصر الموضوع، فتتسلسل الأفكار الجزئية، فيتحدّث عن استغاثة الإنسانية منذ القديم بأبنائها الصادقين على أبنائها المارقين، فأغاثها الرّسل والعباد الصالحون»<sup>3</sup>.

وعلى هذا التّسق يمضي صاحب المقالة في الكشف عن مواطن البلاء في جسد هذه الأم المثقلة بهموم أبنائها بين مراحل التّاريخ بكلمة «استغاثة ... فأغاثها» في تكرار للفعل استغاثت حوالي 17 مرة، وهو «تكرار مقصود حسب ما يرى صاحب الكتاب، من أجل الإيفاء بحق الكلمة الدّالة على الفكرة المحورية والاستغاثة»<sup>4</sup>.

1 ينظر: سيد قطب، نقد الأدبي، ص 13

2- البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص 62

3 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبياً، ص 156

4- ينظر: مصدر نفسه، ص 157

ورغم أننا لا «نجد في هذا الجزء لمسة خيالية إلا أن الكاتب استطاع من خلال اصطناع الجمل التقريرية، في هبة الإنسانية بين الاستغاثة والإغاثة، إنشاء تطابق من المتضادات والنقائص، ذات نزعة عقلية في التصوير الجمالي، وبمضامين أدبية وعبارات فنية في جو من الإيحاء والتلميح...»<sup>1</sup> وبقدر متساو من المفردات في كل جملة تطابقية «استغاثت من عبادة المادة الحائدين عن الجادة، فأغاثها أنصار الروح المقدسون للروح... استغاثت من أعداء العقل المفكر، وعباد الحس المحسوس، فأغاثها الربانيون والفلاسفة الاستشراقيون... الخ»<sup>2</sup>.

كما لم يفت صاحب الكتاب إبداء رأيه في هذه المقالة التي يرى أن صاحبها قد يؤخذ عليه فيها أنه لم يتطرق إلى حلول المشاكل التي ذكر معاناة الانسانية منها.

### ج- المقالة النقدية:

بما أنّ النزعة النقدية كانت أول مبعث للعمل الاصلاحى في الجزائر، فإن كتابات قائد هذا العمل كانت في مجملها لا تخلو من بصيرة الناقد الحصيف بمختلف توجهاتها السياسية والأدبية وحتى الاجتماعية. حيث يلاحظ الدّارس وهو يقرأ للإبراهيمي، النزعة التي تبدو واضحة جلية، تجعل ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، لا تخشى لومة لائم، ورغم شمولية هذه النزعة الخطابية النقدية إلا أنّ صاحبها يفرد «للقد» على وجه الخصوص، مقالات يمكن تصنيفها إلى قسمين حسب الدراسة الموجودة بين أيدينا، «قسم منها يتناول النقد الأدبي، وقسم يتناول نقد الشخصيات، إما بالتقريض والمدح وإما بالغرض والقدح»<sup>3</sup>.

### 1- القسم الأول: مقالة النقد الأدبي:

يرى صاحب الكتاب أنّ النظرة النقدية لدى الإبراهيمي «ترتكز على الجانب الانطباعي المعتمد على الذوق الأدبي، بكيفية يغلب عليها الجانب الموضوعي حيث يعتمد على مقاييس نقدية تسير على النهج العربي المتوارث»<sup>4</sup>.

ولا سيما أن هذا النهج يحتذي بالأدب العربي القديم، وقد لا يجد القارئ مبالغة في هذا الرأي حين يقرأ مقالات الإبراهيمي ويجد فيها تحكّمه الكبير في زمام اللغة التي تصاحبها رشاقة الأسلوب وتوفيق في توظيف

1- ينظر: المصدر نفس، نفس الصفحة

2 - البشير الإبراهيمي، اثار الإبراهيمي، ج1، ص 62

3 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبياً، ص165

4 ينظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة

المفردات التي تحيل إلى عمق الفكرة كما نلتمس لديه القناعة بالموهبة الفنية التي تحوّل له أن يكون على ما هو عليه من «قيادة للجيل الجديد في الأدب، بنماذج تثير الإعجاب وتدعو إلى الاحتذاء»<sup>1</sup>.

وفي مقالة له بعنوان «سؤال وجوابه» كتبه سنة 1951، وتحت عنوان «لمحة من أخلاق الشاعر محمد العيد ال خليفة» يرد فيه الإبراهيمي على سؤال حول سبب تجريده للشاعر من الألقاب التي كانت تنسب إليه مثل «شاعر الجزائر الفتاة، شاعر الشباب... الخ» وصدر ذلك منه بدعوى أن هذه الألقاب لا تنقص شيئاً ولا تزيد في شخصية صاحبها ومكانته الفنية والأدبية.

وعلى ضوء ذلك يقوم صاحب الكتاب بالتعرض لهذه المقالة بالدراسة من حيث وجهة نظر الكاتب النقدية في القضية - قضية الألقاب - وانعكاسها على الأدب والأدباء.

ونجد في تمهيد لهذا المقال، أنّ الإبراهيمي يتنديه بجواب ونظرة واسعة الطيف، لأدباء العصر من حيث قلّة المعرفة وجاء ذلك في مقاله كالتالي: «سألنا جماعة من الأدباء بيان ما أثنى به الأعرابي على بعلته، وذكروا أنهم قرأوها في افتتاحية للبصائر قريّة العهد، فما هو مرجع إشارتها؟، وسألوا عن البعلة - مؤنث بعل - هل هي فصيحة؟

أمّا بعلة فهي فصيحة، ومن قرأ عرف، وما أثنى به الأعرابي، فهو إشارة إلى قوله يخاطب زوجته:  
أثني عليّ بما علمت فإنني مثن عليك بمثل ربح الجورب.»<sup>2</sup>

يبدو الإبراهيمي في هذا التمهيد وبهذا الأسلوب الساخر مستاء جداً من الأدباء الذين يصفهم بالكسالى لأنهم يكتفون بما يلقي إليهم أثناء التعليم دونما جدّ في التحصيل العميق للمعارف، والاداب العربية دونما سعة اطلاع، فهو إذ يوظّف نادرة الأعرابي مع بعلته، فإنّه يعطي الحجة الدامغة على فصاحة الكلمة التي انتقد عليها.

وفي نفس الحين، فإنه لا يكتفي بمجرد التّوضيح والتّصح بل يبدي موقفه الصّريح ورأيه في هؤلاء الأدباء الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء، ولا يملكون ناصية الكلام كما يراها هو.

فهذه النّادرة تبدو في ظاهرها مدحاً، غير أنّ المتأمل فيها يكشف أن مضمونها هو السّخرية والتّهمك وهو بذلك مكن قيمتها في نظر الإبراهيمي، لأنها تقوم على المفارقة بين ما يتجلى في بديهية الكلام، وما يشتمل عليه معناها الباطني.

1 - ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الأدب، ط 2، بيروت، 1977، ص 86

2 - البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، م.س، ص 580

إنّ توظيفه لهكذا نادرة ليس بداع الدّعاة والتسلية فقط، بل ليوضّح دلالة لغوية وبلاغية من شأنها الدّفاع عن فصاحة التعبير الذي ورد في افتتاحية البصائر، ومنه فإن المقالة تجمع بين جواب السّؤال اللغوي، والتفسير الأدبي واستحضار النادرة التراثية كشاهد على الثقافة العربية الأصيلة التي تحتاج إلى ما يماثلها، في المنتقد لصاحبها.

ثم يمضي الإبراهيمي في توضيح التقرير لمن يوهّم بالمدح في البيت السابق على سبيل النصح «وريح الجورب من الرجل العرقة التي تمكث فيه أيام لا تزور الماء إلّا لمّا، (طيب عاطرة الانفاس) فالثناء بمثله ثناء بأخبث شيء في الدنيا، ولم يبق من استفائه لشرائط المكروه إلّا أن يصدر عن ذي فم أبخر»<sup>1</sup>.

لم يذكر صاحب المقالة هذه النادرة من باب التسلية، وإنّما جعلها مدخلا لنقد الأدباء الكسالي، وضعف اطلاعهم وتكوينهم فقد دعاهم بعد تفصيلها للاستزادة من الاطلاع والتحصيل المعرفي والأدبي من الكتب الأصيلة والمصادر الكثيرة حدّ الإدمان، وبحفظ الأشعار والأمثال، ومواقع استعمالها في كلام البلغاء، ومن هنا تتضح صلة النادرة بالمقالة النقدية، إذ تخلص الإبراهيمي من شرح البيت، إلى نقد الذوق الأدبي، والتكوين الثقافي، كما يكشف ذلك عن طريقته في الجمع بين الطرفة والتّهمك.

بعد ذلك ينتقل إلى الردّ على المنتقدين تجريده لمحمد العيد من ألقاب الشهرة وإشارته لهم إلى الاكتفاء له بلقب شاعر الحكم والمثل في جزء آخر من نفس المقال بعنوان فرعي، في المقالة نفسها «انتقاد وردة». «انتقد بعض الأدباء تجريدنا للشاعر محمد العيد ال خليفة من الألقاب التي هو أحقّ بها وأهلها، واقتصارنا في وصفه، على لقب (شاعر الحكمة والمثل)...

ونحن نقول لهذا المنتقد المخلص، إنّنا جرّدنا شاعرنا من تلك الألقاب مخلصين. عن عمد، لأمرين. أما الأول فهو أن هذه الألقاب الأدبية أصبحت كالألقاب الحكومية، يتمجد بها من لا يستحق التمجيد، ليكمل بها نقصه ويوازن بإيقاعها رقصه حتى أصبح الناس متردّين في وجه الإستحقاق وعلّته أهو كامل لينقص بها؟ أم ناقص ليكمل بها»<sup>2</sup>.

يرى صاحب الكتاب أن الإبراهيمي يتتبع أسلوب الإقناع المنطقي والتجاوب الموضوعي في إقناع المخاطب بفحوى نظريته وسبب تجريده للشاعر من ألقابه فيبدو رده هادئا رسيّنا متفهّما وذلك من قوله: «ونحن نقول لهذا المنتقد المخلص. أنّنا جرّدنا شاعرنا من هذه الألقاب مخلصين...».

ولابد أن هدوءه هذا نابع من منطلق أنه من دعاة الاتجاه المعاكس لمقولة:

1 - البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، م.س، ص580.

2 - المصدر نفسه، ص158.

«انتقد ولا تعتقد» لذلك يمضي في شرح الأسباب التي دعت له لذلك، بأسلوب «يمزج بين الجد والهزل، حتى يضمن لنفسه استمالات المخاطب.

ويسخر من سفسفة المسالة ويربطها بالوظيف الحكومي إشارة إلى الذين يفتنون بألقاب المسؤولية وأسماء الوظائف ويقدم المعنى للقارئ في أسلوب عذب ويصطنع له السجع بغيت التأثير والاستماع، فيجعل الأمر في سببين رئيسيين، إن الألقاب الأدبية أصبحت كالألقاب السياسية يتمجد بها من لا يستحق التمجيد: ليكمل بها نقصه ويوازن بإيقاعها رقصه ...

إنّ محمد العيد وأمثاله من المحسنين لفنوتهم، قد شبوا عن طوق هذه الألقاب الجوفاء، فزهذو فيها زهدا ... إن الألقاب لا تزيد في محمد العيد إلّا بقدر ما زادت البشوية في قيمة طه حسين»<sup>1</sup>.

يرى صاحب الكتاب أنّ الإبراهيمي لا يمدح محمد العيد مدحا مطلقا، إنّما يضعه في مكانته الأدبية مع توخي التفاوت في شعره.

وبذلك يجمع بين الإنصاف النقدي والتقدير الأدبي، وذلك أنّ الإبراهيمي ينطلق في تقويم شعر محمد العيد من مبدأ التفاوت بين الناس، ثم ينقل هذا المبدأ إلى مجال الأدب مبينا أنّ الشعراء ليسوا متساوين في درجة الجودة الإبداعية ويستدل على ذلك من الخصائص المعجمية عن العرب، لذلك كان من صاحب المقال مايلي: «وما بعث خلق الله الناس طبقات، وجعله الأقدار درجات وتقديره الأرزاق قسما، وتوزيعه المواهب حظوظا وحصصا، كذلك وما بعث تخصيص العرب كل نفيس من الأشياء باسم يميزها من جنسها: ففي الشعر عيون، وما كله بعيون، وفي النساء عقائل، وما كلهن عقائل، وفي النجوم درارى، وما كلها درارى، وفي الجواهر فرائد، وما كله فرائد»<sup>2</sup>.

وعليه فإن رأي محمد عباس يوضح أنّ صاحب المقالة إنّما يدافع عن الشاعر دفاعا معللا وليس عاطفيا فهو يعطيه مكانته في الشعراء المتميزين مع عدم إغلاق باب التقويم والتمييز، كما لم يفت صاحب الرأي من محاولة «الإبراهيمي أن يوسع نقمته على النقد على خلاف ما بدأ به مقدمته فهو يفرغ شحنته من غيظه، وتبرمه، عما ال إليه الأدب من تشويه وتمويه، ويوازن بين حالة الأدب وقد أهانتها كثرة الألقاب»<sup>3</sup>.

لأن التركيز على الألقاب والأوسمة والنياشين كما يصفها نزار قباني تجعل الأدب يخرج عن دائرة الفن الخالص لوجه الفن، حيث يصبح الأديب لاهثا خلف الصيت باحث عن الشهرة مما يفقد أدبه المصدقية التي تخوله لخدمة

1- عبد المالك مرتاض، فنون النثر الادبي في الجزائر، م.س، ص104

2- البشير الإبراهيمي، اثار الإبراهيمي، م.س، ص169

3 - ينظر، محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، م.س، ص170

القضية، خاصة في الجزائر، في فترة كان التركيز فيها على الجهاد بالقلم والفكر والسلاح، ونفس مذهب الإبراهيمي ذهبه نزار قباني حين قال:

«ظاهرة الألقاب لا توجد إلاّ لدينا، ولعلّها من مخلفات عصور الإقطاع ... حيث كانت النباشين والفرامات والأوسمة التي يحملها الإنسان أهمّ من الإنسان ... هكذا صار للشعر لدينا أمراء ... وللطرب ملوك وللنثر سلاطين بحيث لا يموت خليفة على الشعر إلاّ ونجتمع لنبايع خليفة آخر ... وأنا لا أفهم كيف انطلت على أحمد شوقي كذبة (أمير الشعراء) و خليل مطران كذبة (شاعر القطرين) ... في حين ضلّ شاكسبير في الأدب الإنجليزي محتفظا باسمه الحقيقي المسجل في تذكرة ميلاده»<sup>1</sup>.

ومن ذلك فإن صاحب الكتاب يرى أن موقف الإبراهيمي من محمد العيد لا يقوم على التمجيد ولا على التجريد من القيمة بل على محاولة الإنصاف النقدي الذي من شأنه أن يقرّ بمكانة الشاعر مع التمييز بين مراتب شعره ولا سيما أنه يستحضر قصة الخلاف بين العقاد وشوقي ليضع القضية ضمن إطار أوسع وذات نظرة أبعد وأشمل مما تبدو عليه في ظاهرها، فاستدعاء الخلاف إنما يذهب إلى بيان قدم هذه القضية في تاريخ الأدب العربي.

## 2- نقد الشخصيات:

ينتقل محمد عباس في هذا القسم إلى دراسة مقالة الإبراهيمي في نقد الشخصيات، من حيث موضوع المقالة وموقف الشخصية المرادة بالمدح أو القدح، وأسلوب الإبراهيمي المعتمد في هذه المقالات.

إذ يرى أن ما أفرزه أدب الكاتب من هذا النوع إنما هو من طبيعة موقفه الإصلاحية الذي يجعله عرضة للطعن من قبل أذنان الاستعمار وأصحاب الدسائس والنفوس الخبيثة الذين يعملون على محاولة إفشال مشروعه النهضوي.

إذ أن مثل هذه المجالات والمعارك الأدبية طالما كانت قائمة في تاريخ الأدب والثقافة العربية، ولأن كان صاحب الكتاب يهتدي بمقولة انور الجندي من أن «هذه المساجلات صورة عجيبة لعصر زاخر بالاتجاهات والدعوات والاهواء»<sup>2</sup> فإنه كان فعلا كذلك في الجزائر، ولكن يغلب عيه الطابع الجهادي الساعي إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي.

1 - ينظر: نزار قباني، قصتي مع الشعر، د ط، دت، ص 139

2 - د. انور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر التاريخ والحضارة، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص 11

لذلك فإننا لا نجد الإبراهيمي «ينتصر لفكره الخاص بقدر ما ينتصر دائما للفكر الجماعي والمجتمع الصالح كما يراه ويحدده في مبدأه»<sup>1</sup>

ومن ذلك نجد مقالاته الموجهة إلى نقد الشخصيات إنما تكشف دسائسهم وألأعييهم التي يمارسونها من أجل استمالة الشعوب إلى توجهاتهم الخبيثة فمثلا نجد الإبراهيمي يقرّع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيوس<sup>2</sup>. الذي كان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة «يسؤنا - والله - أن يكون العلم مفتاحا للشر، وأن ينتشر علاة الشعوبية بالألفاظ المموهة بالإنسانية والديمقراطية ثم يرموا أعداء الشعوبية - مثلنا - بالشعوبية، إن أولى الناس بالتجرد من الشعوبية هؤلاء المستشرقون لأنهم يتحلون باشتراكية علمية تنافي الشعوبية وينفردون عن علماء أممهم باتساع في أفق المعرفة»<sup>3</sup>.

يحاول محمد عباس من خلال هذا الطرح أن ينوه لنباهة صاحبه وفهمه لما يحكيه أصحاب العلم والعلماء والاعلام ممن يستعملون العلم لجر الشعوب إلى مآربهم الخاصة عن طريق المغالطات بطرق علمية تعتمد على التحايل في فهم المصطلحات وكيفية استعمالها.

ومن ذلك ما يفعله الشعوبيون حين يجعلون من يعارضونهم هم الشعوبيون، لكي يتبدى للمستهلك العادية البسيط العكس، وبذلك يبعدون الشبهة عن أنفسهم مثلما هو الحال مع هذا المستشرق الفرنسي الذي كان يعلم تمام العلم أن الإبراهيمي ممن يدركون ألأعييه ولصالح من.

فكان ذلك من أسباب كرهه الشديد له وما يجعله يعتبره ألد أعدائه، وهذا ما جاء على لسان جميل صليبة حين قال: «قال لي (ماسيون) ... أنه يريد أن يحتج لدى الحكومة العراقية على تقديم الإبراهيمي عليه، فلما سألته عن سبب نقمته قال لي.. إن هذا الرجل من ألد أعدائي، كتب في البصائر أني عملت على حرمان الجزائريين حق الإستمتاع بأوقافهم مع أنني في الحقيقة حفظتها من الضياع بتنظيمها والإشراف عليها»<sup>4</sup>.

1 - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص176

2- مستشرق فرنسي كان عضوا في مجمع اللغة العربية في مصر

3- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص77

4- جميل صليبة، مقتطفات من مذكرات الدكتور جميل صليبا عن الشيخ الإبراهيمي ماسيون، قال لي: "أن هذا الرجا من ألد اعدائي" مجلة القافة،

وعلى ضوء هذه الطريقة في النقد يتناول محمد عباس شخصية أخرى كانت محطّ نقد وتقرّيع في مقالة بعنوان - «عبد الحي الكتاني»<sup>1</sup> ما هو وما شأنه - حين يرى صاحب الكتاب أن الكاتب هنا يتبع طريقة تقسيم المقال إلى قسمين، فالأول:

من هو عبد الحي الكتاني؟، والثاني: ما شأنه؟ ثم يوضح نظرة الإبراهيمي في ماهية عبد الحي الكتاني، وعلى أثر ذلك يسوق مقتطفاً من مقدمة المقالة التي يقول فيها صاحبها « في لغة العرب لطائف عميقة الأثر، وإن كانت قريبة من النظرة، منها التسمية بالمصدر والوصف به، يذهبون بذلك إلى فج من المبالغة سحيق تقف فيه الأذهان حسرى، ويغالب به الحس فيتخيل ذوبان الموصوف وبقاء الصفة قائمة بذاتها، كان الموضوع لكثرة ما ألحت عليه الصفة وغلب أصبح هو هو، أو هو إياها، وعند الخنساء الخبر اليقين حين تقول: «فإنما هو إقبال وإدبار وعلى هذا يقال في جواب من عبد الحي؟ هو مكيدة مدبرة، وفتنة محضرة، ولو قال قائل في وصفه:

شعوذة تحضر في حجلين      وفتنة تمشي على رجلين

لأراح البيان والتحليل كما يقول شوقي...»<sup>2</sup>.

يلفت صاحب المقال خلال تحليله هذا عناية القارئ إلى خفة المقدمة وجزالتها في هذا المقام حيث إنها تمتاز بالقصر والكثافة إضافة إلى الأسلوب الأنيق وما يتوفر فيها من عناصر الجمال.

«فقد عوّد الإبراهيمي قارئه في عملية إخراج المقدمات بمظهر جذاب، فقد اجتمعت في هذه المقدمة عناصر الجمال، منها ما يختص بالجمال اللفظي فيؤديه التعبير الأنيق من سجع مهذب، وموازنة بين بعض الجمل والفواصل، ومنها ما يختص بالجمال المعنوي فتؤديه طرافة السخرية وحسن الاستشهاد وجمال الاقتباس من التراث»<sup>3</sup>.

ومقصد الإبراهيمي من ذلك هو ما أجابه به في التعريف بالكتاني من أنه «مكيدة مدبرة، وفتنة محضرة» وهو ما يفسر سوقه للمسالة الزنبورية وتوظيفها في هذا التعريف بصاحبه الذي لا يصاحبه، من حيث أنه «هو هي، أو هو إياها»<sup>4</sup>.

1 - رجل من المغرب الأقصى حضر مؤتمر الزوايا ربيع سنة 1939م ثم في ربيع سنة 1948م تحت رئاسته وكان يحارب أفكار جمعية العلماء

ويداهن الاستعمار. محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبياً، ص179

2- البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص539

3- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبياً، ص180

كأن الكتاني لكثرة سعيه للفتنة والمكائد صار هو الفتنة والمكيدة نفسها، وذلك ما يفسر أيضا سوقه لقضية غلبة الصفة على الموصوف حتى تجري جريان الاسم.

ومن ذلك يرى صاحب الكتاب إن الإبراهيمي يحاكي «أسلوب الجاحظ التهكمي وربما تشابه هذا النص وغيره من المقال مع بعض النصوص التي حوتها رسالة التبريع والتدوير، التي تتناول هجاء شخصية أحمد ابن عبد الوهاب حسين يقول فيه الجاحظ: يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها، ويحسد العلماء من غير يتعلق منهم بسبب وليس في يده مع جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب»<sup>1</sup>.

وعليه يتضح من خلال تحليل صاحب الكتاب عدم اكتفاء الإبراهيمي بنقد الكتاني وإبراز حقيقة شخصيته، وإنما يجعل المقالة شبيهة بمحاكمة فكرية وأخلاقية توضح حقيقته بأسلوب يجمع بين التهكم، المفارقة، والتسمية الساخرة، كما يفعل الجاحظ من منظور صاحب الكتاب، وكما يبين أيضا أن هذا النص لا يهدف إلى مجرد التشهير، بل يكشف الانحراف عن مبادئ الإصلاح ويحذر القارئ من أثر الشخصية التي يتناولها الكاتب بهذا النقد اللاذع في المجتمع.

ومنه فإن مقالة نقد الشخصيات هي امتداد طبيعي للمقالة الأدبية من حيث موضوعها وأسلوبها، وبالتالي يمكن إدراجها ضمن مشروع الإبراهيمي العام للإصلاح.

## II- الخصائص الأسلوبية: "الأسلوبية"

لم يخفى على محمد عباس الكيفية التي يتناول بها الإبراهيمي مقالاته والأسلوب الأدبي الذي يطرحه به، ففي رأيه أن الأهم ليس ما يقول بل كيف يقوله لأن مدى التأثير في القارئ لا يكمل في الفكرة وحدها، وإنما يتعداها إلى الأسلوب الذي توصف به.

4 - مسألة نحوية كانت موضع جدال بين النحات في قولهم: «كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها: والصحيح، هو هي»

وتسمى بالمسألة الزنبورية، ينظر كمال الدين إبي بركات الأنباري، الإيضاح في مسائل الخلاف، ت محمد محي الدين مطبعة السعادة، ج 2، ط 4،

1961م، ص 702

1 - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 183

ومنه يحاول إضاءة بعض الخصائص الأسلوبية من خلال الدراسة التي يقدمها محمد عباس للإبراهيمي الذي يرى فيه مزيجاً من الأصالة والمعاصرة «ومعنى هذا أن الإبراهيمي ينحو في اتجاهه الفني منحى الأدباء القدامى في الأسلوب واللغة، وينهج منهج المعاصرين في المحتوى والمضمون، وهو في كل ذلك يميل إلى الموروث بفهم المعاصر»<sup>1</sup> ومنه فإن أسلوب الإبراهيمي أتى محاكياً لأسلوب القدامى في جماله ودقة تصويره ورشاقته صياغته للأفكار واختياره للمفردات، وكل ذلك في طابع معاصر «وموضوعات عصرية اتحدت في ثلاثة محاور (الاسلام - العروبة - الجزائر) فلم يخرج عنها قط، فانطبع أسلوبه بطابع إسلامي عربي خالص، يتكى على التراث الإسلامي في مختلف أطواره»<sup>2</sup>.

ولعل أبرز ما طبع أسلوبه هو:

### 1- البيان والبلاغة:

تتجلى بلاغة الإبراهيمي في توظيفه للاستعارة والتشبيه والطباق والمقابلة والسجع الذي يطغى بشكل لافت على مجمل أعماله النثرية وكتاباتة الفنية حتى باتت «ميزة واضحة سواء كان عفوي الخاطر وهذا كثير في مقالاته التي أنشأها في مناسبات مختلفة، أو كان مقصوداً لذاته كما فعل في سلسلة المقالات التي كتبها تحت عنوان سجع الكهان»<sup>3</sup>.

كما يتجلى في مقتطف المقالة التي يوردها صاحب الكتاب نموذجاً للدرس حيث يقول «أمال فساح، في طور ونجاح، وتباشير صباح، باليسر والاسجاح، وتوق وطماح، إلى سؤدد لماح، وكد والجاح، من أصلاء في العز أقحاح، وعزمات صحاح، في الدّياد والكفاح، ومغدى ومراح، في الحق صراح، وشباب نضاح، عن الشرف الوضاح، ومليك مسماح، في العلم والإصلاح، وإمامة، تاجها العمامة صدف عن المظاهر وعزفت عن المظاهر لتخط الاسوة وتخط الجبرية القسوة، واعلام علماء الإسلام، حافظوا على الارث وظهره من الدم والفرث ..»<sup>4</sup>. لا شك ان كمية الاسجاع التي يتحملها نص المقال، تدعو القارئ إلى ملاحظة نوع من التكلف الذي لا طائل منه كما يراه صاحب النص غير أن ذلك ليس بالضرورة.

1 ينظر: المصدر نفسه، ص310

2 ينظر: محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي أدبه ونضاله، دار الفكر سوريا دمشق، ط1، 1988م، ص223

3 -محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبياً، ص312

4- المصدر السابق، نفس الصفحة

لأن حتى محاولة التكلف في هكذا أسلوب تحتاج من صاحبها باعا لغويا وزادا معجميا قد لا يتاح لكثير من الكتاب حتى ينتقل بين المعاني بسلاسة وبتركيب متوازية أشبه ما تكون بالقطعة الشعرية وهو ما يكشفه هذا الأسلوب.

وهذا ما يذهب إليه محمد مهداوي الذي يرى أن: «السجع و الجناس لازمتان في أسلوب الإبراهيمي، فمن الجناس الناقص يصنع الإبراهيمي السجع مصحوبا في معظم الاحيان بلزوم ما لا يلزم، وذلك في نثره وشعره على حد سواء، و الأمثلة على ذلك كثيرة، منها قوله تحت عنوان من وحي العيد 'يا عيد لو عدت على قومي بالحفظ والدعة أو جدت عليهم باليسر والسعة، لوجدت مني اللسان الخافق بذكرك والقلم الدافق بشكرك ولكنك عدت عليهم بنهار كاشف الشمس، ويوم شر من الأمس، فاذهب كما جئت، فلست منك طاعنا ولا مقيما، وعد كما شئت، فلست مني حميدا و لا ذميما'»<sup>1</sup>.

تظهر من خلال النصين قدرة الإبراهيمي الفائقة في التحكم باللغة وطواعيتها له، حيث وظف أسجاعه وفقا لانفعاله مع الموضوع أو القضية التي يكتب حولها.

ففي المقالة الاولى نجد الفواصل القصيرة ذات التأثير البليغ المحاكية لسجع الكهان في موقف نقدي ساخر نوعا ما، كما يفعل الكهان الذين يحاكيهم من اجل ايهام الناس واقناعهم بواسطة الجرس الموسيقي النابع من الكلمات أكثر من المعنى الحقيقي الذي يريدونه، بينما تتعمق العاطفة في النص الثاني لتأتي الفواصل المسجوعة فيه أكثر دقة وأكثر حدّة لتفي بما يعتري الكاتب من أشجان بسبب القضية الفلسطينية التي يحاول العيد أن ينسيه ألامها من خلال افراحه.

ويتضح من خلال ذلك «ولع الكاتب بالسجع هو أحد عناصر الجمال المركزية في فنه، ولم يكن شأننا ثانويا، لأن الثانوي هو ما يمكن الاستغناء عنه، لذلك نجده يميل إلى استعماله بعشق كبير، فيجعل المتلقي يحس كأن الكاتب يعزف على وتر واحد مستمر من قيثارة تبعث نعمة حزينة لا ينقطع معها الرجاء، ولا ينتهي عندها الأمل»<sup>2</sup>.

وليس السجع وحده من يجل من أسلوب الإبراهيمي متميزا وأنيقا، بل للطباق والمقابلة أثرها الفني في تحديد هوية الأسلوب البديع الذي يتوفق الإبراهيمي في استعماله في كل مرة ينضح فيها قلمه بالنثر الفني.

1- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي أدبه ونظاله، م.س، ص225

2- ينظر: معمر الدين، مقومات المقالة عند الشير الإبراهيمي، م.س، ص95

«فيرزان بشكل واضح في أسلوب الإبراهيمي الساخر، كشف من خلالهما تناقضاته، لينتهي إلى الحكم على تفاهة قيمته»<sup>1</sup>.

ومن أمثلة ذلك ما ورد من مقالته في نقد عبد الحي الكتاني في قوله: «وإذا أنصفنا الرجل قلنا إنه مجموعة من العناصر منها العلم ومنها الظلم ومنها الحق ومنها الباطل وأكثرها الشر والفساد على الأرض». ورغم توظيفه لكلمة العلم، وشهادته للرجل الذي ينتقده أنه ذو علم إلا أنه يجعل علمه عليه لا له، فيقول أنه ظالم ويأتي من ذلك نظرة عكسية منه يوضح من خلالها أن علم هذا الرجل ليتقى، ويجب الحذر منه، فهو بالتالي حين يوظف الطباق فإنه يبتغي منه الصول إلى جوهر الأشياء. وكذلك الحال مع التشبيه.

إذ يقول فيه عبد الرحمن الشيبان: «إنه كان عمدته في تفصيل الجمل وتقييد العام وتبسيط المركب وتحسيم المجرد، فإذا المعنى أمام القارئ أو السامع شيء قائم أمامه»<sup>2</sup>.

يوضح الدكتور شيبان أن الإبراهيمي لا يوظف التشبيه لغاية بلاغية بقدر ما يحاول جعله حقيقة يلمسها القارئ تجعله يرى الواقع كما يتصوره ويحسه ويسمعه، فيتخذ تدابير بشأن الموضوع الذي يورده فيه كقوله. «ليس من سداد الرأي أن يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أن يدخل معهم في جدل، إن من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة، أو يجر إلى إنابة، ونحن نعلم أن القوم لا يتوبون ولا يذكرون. فالواجب أن نلوم أنفسنا على التقصير، ونقرعها عن الانقياد لأهواء هؤلاء القوم، لإرشادهم، أما لومنا إياهم فهو لوم الخروف للذئب، وأما طمعنا في توبتهم فهو طمع الخروف في توبة الذئب، فإن أردتم أن تروا المثل الخارق، فقللوا أظافره واهتموا أنيابه»<sup>3</sup>.

نلاحظ أن الكاتب قبل أن يسوق التشبيه يسبقه بتمهيد لعرض الحالة وتوصيفها بواقعية، إذ يحدد طرفا التشبيه وظروفهما كقوله عن المستعمر أنه ذئب وعن المستعمر أنه خروف، ثم يميز في تمهيده بين طبيعة العلاقة بينهما من أن الثاني هو طعام، وليس للأول القدرة على الإستغناء عنه لأنه مصدر حياته، بذلك يكون في حكم الموت المؤكد، فيجعل القارئ يحس ويعي مدى الوضعية التي يعيشها من أنها حالة ضعف مقدرة لا يملك لها سبيلا في تغييرها إلى حالة القوة، فيرشده الكاتب إلى أن الخلاص يكمن في تقليص أظافر المستعمر والقضاء عليه والتخلص من خطره دون أدنى طمع في توبته، لأنه لا يعرف معنى التوبة ولا يستطلعها لأنها ليست من خصاله.

1- محمد مهدي، البشير الإبراهيمي أدبه ونضاله، م.س، ص228

2- عبد الرحمن شيبان، الامام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، مجلة الثقافة، ع87، 1985م، ص74

3- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، م.س، ص 03

وعليه يأتي تشبيهه هذا بمثابة مشهد واقعي لا يمكن الفكاك منه بالتوسل والطمع والرجاء.

## 2- النزعة الخطابية:

لا شك أن النزعة الخطابية من أبرز الخصائص الأسلوبية التي يناقشها محمد عباس أثناء دراسته لأدب البشير الإبراهيمي.

حيث يرى أنها تتجلى في توجيه الخطاب مباشرة إلى القارئ، وتتمثل في وفرة استعماله لأسلوب الاستفهام والتعجب وضمائر المخاطب والتكرار والتوكيد والتراكيب الاليقاعية كما يتضح في مقتطف المقالة التي يسوقها صاحب الكتاب نموذجاً للدراسة من مقالة الابراهيمي حول القضية الفلسطينية حيث يقول:

«أيظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الاسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الاسلام من نفسها، لا والله ويأبى ذلك شرف الاسلام ومجد العروبة ووشائج القرى ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، ويأبى حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين بمصلحته هو الذي يباعد بين أجزاء الاسلام لكي لا يلتئم ويقطع أوصال العروبة كي لا تلتحم وهيئات هيئات لما يروم»<sup>1</sup>.

إن المطالع لنص هذه المقالة كاملة، ليس يجد صعوبة في لمح مدى عنف اللهجة التي يتناول بها صاحبها هذه القضية، حيث يمهّد المقالة بترصيع مكانة فلسطين في العروبة والاسلام ومدى أحقية العرب بها، وبشذرات تاريخية يستعرض كيف كان العرب أولى من غيرهم بالذود عنها حوالي ثلاث مرات كما يقول فيما يستعرض من تاريخها ويستنكر على اليهود وأسلافهم حيازتها دون وجه حق لذلك يتناول المقالة بحدة تؤهب النفوس وتجعل القارئ في ثورة وجدانية حول موقعه من القضية الفلسطينية وانتمائه العربي الإسلامي.

فتبدوا في معظمها صداحة بالتساؤلات، والخطابات المباشرة التي تستهدف القارئ، كما لو أنه هو المسؤول عما يجري من هذا الذي يجري في أرض الأنبياء وأولى القبلتين، حتى أنه سمي هذه المقالة - تصوير الفجيعة - لوقعها في نفسه أولاً ثم على بقية الجمهور.

لذلك يرى محمد عباس أن كاتب المقالة «يستحضر فيها مستمعيه بذهن خاص، وقد ترتفع هذه اللهجة في المقال نفسه إلى المخاطبة الصريحة التي تتوفر فيها شروط الخطاب كاملة دون أن يعوقها عائق أو يحول حائل بين الكاتب والمستمع المخاطب.

بهذا الأسلوب تصبح المقالة شبيهة بمشهد خطابي ينقل من خلاله صاحبه شعوره للمتلقى ويجعله يتحمل مسؤولية واقعه عن طريق الخطاب المباشر المفعم بالواقعية، وإضافة إلى ذلك فإن هذا الأسلوب ليس مسبق التحضير من الكاتب وإنما هو وليد اللحظة الشعورية المواكبة لمجريات الواقع كما يقول محمد عباس: «إن معظم هذه المقالات

1- البشير الإبراهيمي، آثار الابراهيمي، م.س، ص 438

التي تهيمن عليها اللّهجة الخطابية كانت وليدة أحداث مفاجئة، وليدة المناسبة والموقف الذي يقتضي السرعة والتعجيل في الكتابة، علما بأن صاحب هذه المقالات كان يتولى مهمة الصحافة الآنية مع التصدي لكل فكرة معادية والترقب الحذر والاستعداد للتوثب والمواجهة الكتابية في كل حين»<sup>1</sup>.

وفي خضم هذه الآنية تقوم النزعة الخطابية لدى الإبراهيمي، بإثارة الفكر، حيث يباشر صاحبها بترتيب عناصر القضية حيث لا يترك القارئ أمام جوّ انفعالي لا يعرف محله منه الإعراب، بل يعلم صاحب المقالة عن موضوعه، ثم يفسره ببيان اثاره، ومن ثم يوجه قارئه إلى الموقف الذي يراه صحيحا ليصبح لدى هذا المتلقي احاطة شاملة بهذا الموضوع وأسبابه ونتائجه ومن ذلك ما رأينا في مقالة "تصوير الفجيعة" حيث يفتتحها بنداء فلسطين مبيناً موقعها في نفوس الجزائريين معمما خطابه باستعمال كلمة «في ... كل ... جزائري ...».

«يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية وفي وجفن كل مسلم جزائري من محتكك عبارات هامية، وعلى كل لسان مسلم جزائري كلمة مترددة هي فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير»<sup>2</sup>.

في هذه المقدمة يجعل صاحب المقالة قارئه يدرك موقع فلسطين في الإسلام والعروبة، بحيث يحدّد له الموضوع ويشرح له العلاقة التي تربطه به، فالرابط اسلامي هنا قبل أن يكون عربي، وهذا من حذاقة الكاتب من ترتيب المقالة.

وبعد أن ينقل الفكرة ويسبب لها أسبابا بوضع الموضوع في دائرته الفكرية، يبدأ في نقل الإحساس الوجداني عن طريق شرح سبب انفعاله والتعرض لتاريخ أحقية العرب المسلمين بفلسطين، وسبب سخطه على الصهاينة كما في المقالة «أن فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب وموطن عريق لسلاسل من العرب استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكّن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادة فيها العربية أكثر مما سادة العبرية»<sup>3</sup>.

إن كل ذلك لا يتأتى إلا من خلال مساهمة البلاغة والإيقاع في جعل الخطاب قابلا للتلقي والتذكير، فالاستعارة تقرب المعنى والطباق يبرز التناقض والمقابلة تنظم الموقف، والسجع يضفي عبارة ذات نغمة صوتية، وهذه الصفات كلها تتمزج في أسلوب الإبراهيمي، وبراعته في التوظيف والاستعمال.

1 - محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبيا، ص 320

2- البشير الإبراهيمي، اثار الإبراهيمي، ص 435

3 - المصدر السابق، نفس الصفحة

## 3 - السخرية والتهكم:

يرى محمد عباس أثناء دراسته لأسلوب الإبراهيمي، أنه لا يكفي بتوظيف البيان والبديع وحدهما بل يجعل من المقالة موقف نقدي، وعلى إثر ذلك فإن السخرية والتهكم يمكن اعتبارهما لونين من ألوان النقد يلجئ لهما الكاتب أثناء تناول الشخصيات أو الظواهر التي يراها تناقض مشروعه الإصلاحية والوطني والديني. ولا تأتي السخرية بداع الضحك وإنما يكون الضحك فيها من رؤية التناقض بين ما تدعيه الشخصية أو الجهة المرادة بهذه السخرية، وبين حقيقتها فيكون الضحك ضحكا مثل البكاء.

بينما يقوم التهكم مقام المدح ويحمل في باطنه الذم والرفض والتقليل من شأن الموصوف.

ولعل ذلك ما يفسر تقسيمه - محمد عباس - للمقالة النقدية إلى نقد أدبي ونقد شخصيات، فمقال نقد الشخصيات يصبح مجالا أكثر اتساعا لتوظيف السخرية لأن الكاتب لا يكتفي بالحكم على الأفكار بل يرسم صورة نقدية تكشف التباين بين المظهر والوظيفة وذلك من قوله أن: «ظروف الأحداث فرضت عليه أن يدخل المساجلات والمعارك القلمية: كانت تستهدف استئصال بعض الأفكار المنحرفة عن الجادة، وتعمل على ضحد شبهات مزيفة وتعرية أصحابها على حقائقهم»<sup>1</sup>.

وعليه فإن دراسته توضح أن السخرية لدى الإبراهيمي ذات أبعاد دينية وسياسية واجتماعية، فنقد المنحرفين وفضح السياسة الاستعمارية وأعوانها وبذلك يصبح هذا الأسلوب استراتيجي حجاجية تسعى إلى إقناع القارئ برفض الانحراف كما هو الحال مع عبد الحي الكتاني إذ يقول فيه: «واذا أنصفنا الرجل قلنا إنما هو مجموعة من العناصر منها العلم ومنها الظلم، ومنها الحق ومنها الباطل، وأكثرها الشر والفساد في الأرض أطلق عليها لكثرتها واجتماعها في ظروف هذا الاسم المركب الذي لا يلتقي مع الكثير منها في اشتقاق ولا دلالة وضعية، كما الأسماء المرتجلة وكما يطلق علماء الكيمياء على مركباتهم أسماء لا يلمحون فيها أصلا من أصولها، ومن الأسماء ما يوضع على الفأل والتخييب فيطيش الفأل وتكذب المخيلة ومنها ما يوضع على التوسع والتخييل، فيضيق المجال وتضيع الحيلة وإن اسم صاحبها لم يصدق فيه إلا جزئه الأول، فهو عبد لعدة أشياء ... لكن أملكها به الاستعمار»<sup>2</sup>.

يستعمل الكاتب أسلوب المقالة ليصف من يسخر منه ويصوره في ذهن المتلقي بالصورة التي يرسمها له أو بالأحرى من منظور الحقيقة التي يراها هو، فيصفه بأنه جامع للعلم و ظالم ثم إنه يدعي الحق ولكنه يسعى إلى الباطل «متتبعا أسلوب المطابقة والتكافؤ يقابل فيه الايجاب بالسلب»<sup>3</sup> وهذا التقابل يجعل من القارئ يتعمق أكثر

1- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي أدبيا، م.س، ص 176

2- البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، م.س، ص 540

3- ينظر: احمد مطلوب، فنون - بلاغة - البيان - البديع دار الجون العلمية، الكويت، 1975، ص 296

في فهم الشخصية من حيث أنه لا يتكلف جهداً لاستنتاج النبوة الساخرة التي يستعملها الكاتب حينما يوضح اعتبارية الاسم وحامله، فليس للمسمى نصيب من اسمه سوى العبودية التي لا يتوجه بها لرب العباد، وإنما لعبد مثله هو المستعمر، وهذا وصف مقذع جداً، خاصة وأن هذا الشخص يعرف بأنه رجل علم ودين في ظاهره وتأني سخرية الإبراهيمي وأوصافه له لتظهر جوهره الذي لا يعرفه الكثيرون فيتعرض له الإبراهيمي بالكشف فيقول: «إن هذا الرجل مازال مذ كان الاستعمار في المغرب - لا كانا - آلة صماء في يده يديره كما شاء وعلى ما شاء: يحركه للفتنة فيتحرك ويدعوه إلى تفريق الصفوف فيستجيب ويندبه إلى التغريب والتخريب فيجده أطوع من بنانه، ويريد منه أن يكون حمى تنهك فيكون طاعونا يهلك وأن يكون له لسانا فيكون لسانا واذنا و عينا

ويدا ورجلا ومقرضا للقطع، وفأسا للقلع ومعولا للصدع وما يشاء الاستعمار اخماد حركة إلا كانت يده بركة»<sup>1</sup>.  
يرز صاحب المقالة هنا مدى طواعية هذه الشخصية للمستعمر بوصفه آلة صماء لا حول لها ولا قوة فالالة لا تملك نفسها ولا تدرك مآلها، فهي تتحرك بما شاء لها صاحبها، أي أنها مسلوقة الإرادة، وهذا إقذاع آخر يمارسه الإبراهيمي على الكتاني.

يرى صاحب الكتاب أن أسلوب الإبراهيمي هذا شبيه بأسلوب الجاحظ التهكمي و خاصة في ما يتناوله الجاحظ من هجاء لشخصية أحمد عبد الوهاب إذ يقول فيه: «يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ويحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال باسم الأدب»<sup>2</sup> ولعل ما جعل صاحب الكتاب يذهب هذا المذهب في رأيه، هو التشابه في مقالة الجاحظ عن موصوفه وما يذكره الإبراهيمي من أوصاف صاحبه «وعبد الحي محدث بمعني آخر، فهو «راوية» بكل ما لهذه الكلمة من معنى، تتصل أسانيده بالجن والحن ورتن الهندي ومن هب ودب ... ثم غلبت عليه نزعة التجديد فأتى من صفة المحدثين (بالتخفيف) لكل عجيبة فهو محدث محدث في آن واحد، و هم وأمثاله من مجانين الرواية حفظ الأساليب وتحصيل الإجازات»<sup>3</sup>.

إن كمية السخرية التي يلقها الكاتب في هذا المقال أمر لا يمكن تجاهله ففي قوله عن الكتاني من أنه راوية بكل ما تحملها الكلمة من معنى، يعني أنه لا يذر صغيرة ولا كبيرة إلا ينقلها لمن وهب نفسه لخدمتهم، فهو يروي لهم كل شيء وهذا في معنى الوشاية، و يقول عنه ان أسانيده متصلة بالجن والحن ورتن الهندي، معنى ذلك أنه مشعوذ فرتن هذا دجال ادعى صحبة النبي وأنه يروي عنه مباشرة، وصاحبنا يروي عن الجن مباشرة فهو دجال مشعوذ،

1 - البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، م.س، ص 542

2 - الجاحظ، الترييع و التدوير، ت شارل بلات، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، د.ط، 1955، ص 60

3- البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، م.س، ص 545

وكل هذه الدقة في الوصف الساخر والسخاء في استعمال المعاني والمفردات في واقع الإبراهيمي بما يطابق ويتمثل معها من الموروث التراثي، يشهد له بقيادة جيل جديد في كتاب الأدب.

## الفصل الثالث: القيمة النقدية للكتاب

### القيمة النقدية للكتاب:

تتمحور نظرة محمد عباس حول دراسته للبشير الإبراهيمي في إبراز الجانب الأدبي في إنتاجه النثري وذلك لغلبة الشخصية الإصلاحية والسياسية على صورته في كثير من الدراسات والموضوعات الأكاديمية، فمن خلال دراسته هذه سعى المؤلف لتقديم نظرة مختلفة عن هذه الشخصية، وهي أنها لا يمكن اختزالها في النشاط الإصلاحي والقيادة السياسية، بل تتمتع بتجربة نثرية لها خصائصها الفنية، ومميزاتها الأدبية.

ولأنصاف هذه النظرة بما تستحقه من الجودة لا بد من وضعها في ميزان يحدد القيمة النقدية لها من حيث نقاط القوة والضعف فيها.

### أ - نقاط القوة:

#### 1- إبراز الجانب الأدبي:

لعل أول ما يحسب لمحمد عباس في هذه الدراسة هو توفقه في إبراز البعد الأدبي في كتابات الإبراهيمي لأنه لم يتعامل معه على أنه عالم مصلح فقط، بل ألح على أدبيته وهو ما يتضح جليا في بنائه للكتاب الذي نتناوله بالدراسة، حيث جعله مشتملا على معظم الفنون النثرية التي طرقها صاحبه كالمقالة، والخطبة، والرسائل وحتى الشعر والخطابة.

وذلك ما شأنه أن يعيد تشكيل صورة هذه الشخصية داخل تاريخ الأدب الجزائري الحديث والمعاصر ليبقى «إنتاجه يتجه نحو بناء الإنسان الجزائري العربي داعيا إلى الله مجاهدا في سبيل الحرية ومؤمنا بالعروبة».<sup>1</sup> ذلك ومن خلال طريقة بنائه لمقالاته وكيفية توظيف التراث فيها من محفوظه الغزير ليجعل عباراته أداة للإقناع والتأثير، لأن «اللفظة المفردة شخصية مستقلة متميزة لها قيمتها بذاتها قبل دخولها التركيب؛ فلها صفة الحسن أو القبح قبل أن يستعملها الأديب في التركيب اللغوي الدال على فكرة أو عاطفة أو إحساس».<sup>2</sup> ويتجلى عنصر التأثير الأدبي عند الإبراهيمي من الاستخدامات الأدبية للمفردات في براعته وانتقائه للألفاظ ذات الوقع الشعري التي تؤثر في القارئ بتعدد مدلولاتها.

ويتضح ذلك في دراسته لمقالة ذكرى 8 ماي، حيث استعرض من خلالها محمد عباس براعة الكاتب في تصوير المشهد الدرامي بقوله، «يفضي عليه أوصافا غريبة تزيد المشهد تلاحما من صور الحزن ولألم والمأساة حتى

<sup>1</sup> - ينظر: انور الجندي، افاق جديدة في الادب والتاريخ والتراجم، د.ط، 1978، ص7-13

<sup>2</sup> - ينظر: بشير خذير، مجله الآداب والحضارة الإسلامية، م 13، ع 27، 2021، جامعة عمار ثلجي الجزائر، ص183

يمهد بذلك، لعرض الموضوع»<sup>1</sup> وأن ما يصفه صاحب الكتاب بالأوصاف الغريبة هو نفسه ما يتعرض إليه بالشرح في قوله:

«والإبراهيمي في هذا المقال... فيشعر القارئ بالمقدمة أن الفكرة الرئيسية للموضوع ليست عادية في تناول وفي الحديث، فهي فكرة بليغة الأثر في نفسية الكاتب، شديدة الوقع على المتلقي»<sup>2</sup>

وعلى ضوء ذلك فإنه يعلل لماذا يصفها بهذا الوصف ويسعى في نفس السياق إلى استعراض الجانب الفني في صياغة هذا التعبير بهذه الطريقة إذ يرى أنّ الكاتب يستميل القارئ بشحن وجدانه بجملة من التراكيب اللغوية ذات الوقع القوي مثل «يوم مظلم الجوانب، بالظلم مطرز الحواشي بالدماء، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمس طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور وغبت حقيقته عن الأقلام فلا تصوير ولا تدوين يوم ليس بغريب عن (رزنامة) الاستعمار بهذا الوطن».<sup>3</sup>

وهو يرى أن هذه الطريقة في الطرح والتناول قد بلغت هدفها البلاغي والفني والأدبي فعبارة «مقشعر الأرض من بطش الأقوياء «يقابلها» مبتهج السماء بأرواح الشهداء»، وبالتالي فإن صاحب المقالة يعتمد على تقسيم التراكيب في الجمل ولمساواة بين الفواصل.

وهذا توفيق من الكاتب حسب ما يراه صاحب الكتاب لأن هذا التساوي بين الفواصل والتراكيب ذات المعاني الوصفية البليغة، «طبعت المقالة بنغمة عذبة محمودة، وعلى الرغم من قصر هذه المقدمة فقد توافرت فيها عناصر الجمال التي لم تقتصر على التقسيم والمقابلة فحسب، وإنما تجاوزتها إلى شيئاً آخر يمكن تسجيله، هو أن الكاتب افتتح مقاله بالجمال القصيرة ذات المعاني الوصفية البليغة»<sup>4</sup>، تجلّى من خلال رأي عباس في هذا النص براعة الكاتب وحسن تصريفه للقول؛ وذلك في إثارة للإيجاز اللفظي مع تسديد المعنى عبر اعتماد الجمل القصار التي توضح المقاصد وتنفذ إلى نفس السامع بغير إطالة ولا إملاّل.

وقد تناسق هذا الإيجاز مع المقابلة وحسن التقسيم، مما أضفى على الكلام جرساً شجياً ورونقاً عذباً ومحمد عباس إذ يتطرق للتحليل بهذه الطريقة فإنه يضيئ مكنة الإبراهيمي في اختياره لشكل التعابير حسب ما يتوافق مع مقتضى الحال فالخطب ثقيل على النفس ويتطلب النفاذ السريع.

<sup>1</sup> - محمد عباس، البشير الإبراهيمي، م.س، ص 142م.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 143.

<sup>3</sup> محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، م.س، ص 331

<sup>4</sup> - محمد عباس، المصدر نفسه، ص 143.

والأديب المتمكن هو من يقدر الأوضاع ويعرف كيف يتناولها وبأي طريقة يفعل ذلك وعلى أثر هذا يحسب محمد عباس أيضاً أنه لم ينظر إلى أدبية الإبراهيمي باعتبارها ترفاً لغوياً أو تزويقاً شكلياً.

ولأن الدراسة الأدبية في أي خطاب تعتمد النظر في جملة من العناصر هي اللغة والأسلوب والإيقاع فإننا محمد عباس نجح في تبع هذه العناصر في نثرات الإبراهيمي بهدف الوقوف على الأدبية فيها.

«ينطلق النقاد من حقيقة ثابتة تتمثل في أن الخصائص المميزة لأسلوب الأديب تظهر من خلال طريقة تفاعله مع اللغة لأن أسلوبه ليس سوى نتيجة للتفاعل مع ذاته واللغة»<sup>1</sup>

وعليه فإن بلاغة الإبراهيمي من هذا المنظور تقوم على جمع متانة الفكرة بجمال العبارة لتتحول المقالة إلى فضاء يجتمع فيه البيان والحجج والعاطفة ويتجلى الجمال النثري الأديبي عند الإبراهيمي في نظر محمد عباس في «ثلاثة مستويات شعرية اللغة، الخطابية، والتقريبية ومن الواضح أن المستويين الخطابي والتقريبي متصلين بشكل كبير حيث تركز اللغة فيهما على التوجيه المباشر والمنطقي».<sup>2</sup>

وعليه يأتي أسلوبه محتفياً بالجزالة اللغوية والتزويق البياني، مما يمنحه مدى واسعاً وأبعاداً رحبة تُصَوَّب فيها المقاصد نحو الغوص في عمق الدلالات والإيحاءات الثانوية

كما توفق أيضاً في التعرض لبعض الخصائص الفنية مثل الإيقاع وبما أنه يشمل جميع فنون اللغة سواء كانت شعرية أو نثرية، إذ يعتبر بمثابة البنية الصوتية التي تنبعث من الكلمات المستخدمة، مما يمنحها الشكل الصوتي الفريد في سياق محدد ويظهر الإيقاع في خطاب الإبراهيمي بطريقة تلفت الانتباه حيث ينسجم بشكل لافت مع تنظيم الأصوات والكلمات.

يرى الكاتب أن الإبراهيمي يقوم على توظيف بعض الفنون البلاغية كالجناس كما نراه في قول: «ولا شك أن الخاصية البارزة في جميع إنتاج الإبراهيمي الأدبي هي السجع، فهو ممن عرفوه به وأصبح من مميزاته الواضحة سواء كان عفوي الخاطر وهذا كثير في مقالاته التي أنشأها في مناسبات مختلفة، أو كان مقصوداً لذاته كما فعل في سلسلة سجع الكهان»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص 23-28. وينظر أيضاً: عبد السلام

المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1982م، ص 35.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد عباس البشير الإبراهيمي، ادبيات، م.س، ص 313

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 312.

وهذا ما تؤكده دراسة الإبراهيمي هذه إذ أن النثر الأدبي عنده تميز بجماليات بيانية وبقدرة على نقل الأفكار والمشاعر وتربية الذوق واناة العقل لا بمجرد عرض المعلومات

## 2-توثيق نصوص الإبراهيمي:

تتمثل القوة الثانية في اعتماد عباس على نصوص الإبراهيمي نفسها واستحضار الشواهد من مقالاته وخطبه ورسائله بدل الاكتفاء بالأحكام الانطباعية أو بما قاله الدارسون عنه.

بحيث نجده يسير على هذا النحو في مجمل دراسته، ولا يتطرق إلى فن من الفنون التي طرقها الإبراهيمي إلا وتكون النماذج والشواهد حاضرة، فمثلا حين يتناول المقالة على الأقل يستعرض مقالة شاهدة « كذكرى أحداث 8ماي» فلا يكتفي بمجرد الإشارة إليها.

وهذه نقطة منهجية مهمة لأن دراسة الأديب لا تكون علمية إذا انفصلت عن مادتها الأصلية أي النصوص التي أنتجها.

فمن خلال الشواهد التي يعرضها عباس يتابع القارئ مظاهر السخرية في نقد الشخصيات، وهو ما نجده في دراسة مقالة نقد الشخصيات التي قسمها إلى قسمين ففي الجزء المتعلق بنقد الشخصيات يشير محمد عباس إلى خصومة المستشرق الفرنسي للإبراهيمي فلا يكتفي بذلك بل يوظف الشاهد على ذلك.

كذلك جرى الأمر حين وظّف لنا مقتطف من «مقالة جميل صليبة بقلم صليبة نفسه على هذه الحادثة وكذا موقف الإبراهيمي من أمثال ذلك المستشرق»<sup>1</sup> حين قال منتقدا لهذا الرجل ولسياسة بلاده وأمثاله من أصحاب توجهه الفاسد:

«يؤسفنا والله أن يكون العلم مفتاحا للشر وأن يتستر علاة الشعوبية بالألفاظ المموهة بالإنسانية والديموقراطية، ثم يرموا أعداء الشعوبية - مثلنا - بالشعوبية. أن أولى الناس بالتجرد من الشعوبية هؤلاء المستشرقون، لأنهم يتحلون باشتراكية علمية تنافي الشعوبية وينفردون عن علماء أمهم بالتساع في أفق المعرفة...»<sup>2</sup> كما نجده أيضا يوضح في الهوامش أسماء الشخصيات والقضايا التي يشير إليها، وحين يتناول أسلوب السجع وسجع الكهان.

فإنه أيضا يسحضر مقتظفا من ذلك مع الإشارة إلى السلسلة التي وردت فيها كما يستحضرها في هذا الموقف بهذه الكيفية «... كما يفعل في سلسلة سجع الكهان، وأتي بالشاهد من هذه «السلسلة» وهو مقتطف

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عباس م.س، ص177.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

من مقالة له بعنوان «عيد العرش المحمدي العلوي» يقول فيها صاحبها: «آمال فساح، في الفوز والتجاح، وتباشير صباح، باليسر والأسجاح، وتوق طماح، إلى السؤدد اللماح....»<sup>1</sup>

ونفس الحال في بناء الخطاب في المقالات الوطنية وحضور النادرة التراثية، كما سبق من تناولنا لما ذكره في جزئية النقد الأدبي من مقالته «سؤال وجوابه» التي افتتحها بالرد على تساؤلات الأدباء عن كلمة بعللة أهى فصيحة أم لا؟

فراح يوظف نادرة الأعرابي مع بعلته في سياق الجواب ويبيان موقفه منهم، فمحمد عباس يستشهد على كل كبيرة وصغيرة في طريقة الإبراهيمي في معالجة قضايا الأدب والالقب والشعراء وبذلك لا يضل الحكم على أدبية الإبراهيمي، حكما عاما أو عبارة جزلة فقط بل يستند إلى مقاطع لغوية يمكن قراءتها ومراجعتها.

ومن ذلك تطرقه للمستوى الشعري في لغة الإبراهيمي وجرى من ذلك قوله «فأما المستوى الشعري ... وتمثل في شاعرية الأسلوب.. ثم يطرح نموذجين من مقالة العيد التي يقول فيها صاحبها» عيد بأي حال عدت يا عيد ... وهذه فلسطين التي عظمت حرمانك ثلاثة عشر قرنا ونصف وتأرج تراها بالآثر العاطر من إسرائ محمد وتضمخ بدماء الشهداء من أصحابه..» ثم يسوق النص الثاني الذي يقول فيه صاحبه «سر - يا صبا - طاب مسراك، وصفى مجراك، في جو ضاحك الصفحات وفضاء سافر الغرة، لا جبلا نعمان<sup>2</sup> يعترضنا مهبك، ولا عواصف الدبور تعارض مدبك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس فاسلك منها مسالك بنو هلال فرقة عن اليمين وفرقة عن الشمال، وخذ آثارهم بما يجدي فكلاهما نجدي، وستقع في شمالك على الخؤولة، وفي يمينك على العمومة، واثنت أسراك<sup>3</sup> وبثت أخبارك فهناك محطة الهوى و الشوق ...»<sup>4</sup>

ثم بعد هذين العرضين يباشر في تميز لعتهما من حيث الموقف الانفعالي والقيم الشعورية المعروفة المصدر كما يصفها.

فيصف الأولى وهي لغة مقالة العيد بالحزن واليأس وهو انفعال، واضح سببه في مناسبة دينية لها معناها لدى المسلمين تكابد خلالها فلسطين أحزان تجعلها بعيدة عن المشاعر التي يجب أن تعاش أثناء تلك الشعيرة، وهي الأرض التي لها مقامها في الدين الإسلامي.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عباس م.س، ص 312

<sup>2</sup> - حسان بن النعمان الغساني سبق التوضيح خلال العرض. ينظر: محمد عباس، الشير الإبراهيمي أدبيا، ص 114

<sup>3</sup> - أنث السر أفشاه. ينظر: المصدر نفسه: نفس الصفحة

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بينما يرى أن في النص الثاني تعبيراً موحٍ بمعاني الحرقه واللوعة والاغتراب اكتوى بها الكاتب في عالم الغربة، وفي شقة البعد عن الوطن ولأهل والاحباب.

ويرى بسبب هذا أنه ما من لغة تسعفه في التعبير عن لواعجه بمصابه سوى اللغة الشعرية فيتطرق إلى الألفاظ التي لها الوقع الشعري الناتج عن تفاعلها مع نفسيته لنقله إلى القارئ.

ولا يفوتنا في هذه الجزئية أنه في المقالة الثانية حين يذكر مقولة صاحبه "... في جو ضاحك لا جبلا النعمان يعترضان مهيبك ... «فإننا نجده يشير إلى جبلا النعمان في الهامش ويشرح من هو النعمان المقصود وقصة قتله للكهنة ويذكر أنه كان من الفاتحين لشمال افريقيا»<sup>1</sup> ويهمش أيضا للمصدر الذي يذكر عنه هذه التوضيحات على سبيل التهميش.

كما يشير أيضا إلى المفردات الغريبة ويشرحها في الهامش كما يفعل مع كلمة - نث - ويوضح معناها: نث السر بمعنى أفشاه.

وتتضح قيمة هذا المسلك في أمرين أولهما أنه يمنح الدارس طابعا تطبيقيا لأن الملاحظة النقدية تربط بشاهد محدد، فيمكن للقارئ أن يختبر مدى صحة الحكم، وثانها التاريخية المباشرة، فالمقالة التي كتبت في سياق سياسي أو إصلاحي تصبح قابلة لأن تدرس من حيث خطابها وإيقاعها وسخريتها وطريقة بنائها للحجة. كما أن اعتماد عباس على نصوص أصلية يكتسب أهمية إضافية بالنظر إلى أن إنتاج الإبراهيمي متفرق بين المقالات والخطب والرسائل والبيانات.

تكبد محمد عباس عناء دراستها وقراءتها كما يوضح ذلك بنفسه في مقدمة هذه الدراسة حيث قال وهو يكشف عن صعوبات بحثه هذا: «فأما الأمر الأول فيمكن في عملية البحث والتنقيب عن الآثار الإبراهيمي وانتاجه، منشورا وغير منشور، فالمنشور منه، لا غبار عليه أما الغير المنشور، فهو ما يمثل مكن الصعوبة وهو ما يحتسب لصاحب الدراسة، لأنه يتطلب السفر إلى المكان المتواجد فيها داخل البلاد وخارجها ولا يخفى على الدارس لسيرة الإبراهيمي انخراطه في النوادي واللجان العلمية في البلاد العربية، أما الأمر الثاني فهو تجشمي عناء القراءة والفرز»<sup>2</sup>.

ولافت أثناء معاينة المصادر التي استشهد بها بمقولات الإبراهيمي واستحضر مقالاته وخطبه يجد أن معظمها مهمش من جريدة البصائر عبر سلسلتها الأولى الثانية وبتعدد اعدادها، وبعض الشواهد مما كان ينشر في الصحف والمجلات العربية. وبعضها من عيون البصائر بطبعته الأولى والثانية وبمختلف أجزائه الأولى والثاني والثالث الذي جمع

<sup>1</sup> - المصدر السابق، نفس الصفحة

<sup>2</sup> - ينظر: محمد عباس، ينظر: محمد عباس م.س، ص 2

قدر كبير منه نجله أحمد طالب الإبراهيمي وسماه بكتاب اثار البشير الإبراهيمي فاستدعاء النصوص في الدراسة لا يؤدي وظيفته توثيقية فقط بل يساهم في حفظ الذاكرة الأدبية للإبراهيمي وإعادة ترتيبها داخل حقل النقد الأدبي..

وهو ما يدعونا للقول بأن الدراسة اعتمدت الشواهد النصية وعززت أحكامها بالعودة إلى نصوص الإبراهيمي، وهي ميزة منهجية حتى لو تفاوتت درجة دقة البيبليوغرافية بين موضع وآخر.

### 3- الربط بين الأدب والإصلاح والسياسة:

أما النقطة الثالثة فتتمثل في أن محمد عباس لم يعزل أدب الإبراهيمي عن شروط إنتاجه التاريخية والفكرية. لأنه لم يكتب في فضاء أدبي منفصل عن الواقع، بل كتب في ظل الاستعمار الفرنسي، وفي إطار الحركة الإصلاحية الجزائرية وفي سياق الدفاع عن التعليم العربي والهوية الإسلامية والوحدة الوطنية، «فقد كان أحد زعماء الحركة الإصلاحية وعلى رأس جمعية العلماء المسلمين التي تعد الحركة الإصلاحية أهم أهدافها ومحور ادارتها وسبب نشأتها التي خطط لها هو وابن باديس، وقد سلكت حركتهما أسلوب نشر الثقافة العربية الإسلامية لإيقاظ الوعي الحقيقي للجماهير الجزائرية»<sup>1</sup>.

ولذلك فإن فصل أدبه عن الإصلاح والسياسة كان سيؤدي إلى قراءة منقوصة لا تفسر كثيرا من خصائصه الأسلوبية كما تطرق إليها محمد عباس، كالنبذة الخطابية، ووحدة السخرية وكثرة النداء والاستفهام الإنكاري، واستدعاء التراث، وتوجيه الخطاب إلى الجماعة.

وعليه فإن الفصل بين الأدب والإصلاح والسياسة في تجربة البشير الإبراهيمي قد يُحدث اختلالاً في محاولة الكشف عن مميزات الأسلوب، إذ لم تكن كتاباته مجرد نصوص بلاغية معزولة عن بيئتها، بل كانت أدوات نضالية ومحركا للوعي الذي كان يسعى لنشره.

ومن ثم، فإن خصائص أسلوبه - وفي مقدمتها النبذة الخطابية الجهرية - تشكلت بفعل الرغبة في شحذ الهمم ضد الاستعمار، وتعبئة الشعب ضده.<sup>2</sup>

أما حدة السخرية والتأصيل الأسلوبي لديه، فلم تكن مجرد التسلية البيانية، بل كانت سلاحاً نقدياً وُجّه لهدم أركان الجهل ورموز التبعية والإغفال الاجتماعي. لذلك جاء إكثاره من أساليب النداء والاستفهام الإنكاري ليعكس بوضوح أبعاد الخطاب الحجاجي المواجه للمتلقي، سعياً لاستفزاز عقله ووجدانياً وتوجيهه نحو الموقف الإصلاحي المنشود.

<sup>1</sup> - ينظر: المصدر السابق، ص 18-20

<sup>2</sup> -- ينظر: عمارة، محمد، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: أديب الدعوة والجهاد، القاهرة: دار الشروق، (1984)، ص 45-52.

وفي السياق ذاته، يبرز استدعاء التراث بكثافة ليعيد تأصيل الهوية الثقافية والدينية واللغوية في مواجهة محاولات المسخ والفرنسة، مما جعل توجيه الخطاب إلى الجماعة (الأمة) شرطاً، حيث يغيب الـ «أنا» الفردي ليحل محله «الضمير الجمعي» المعبر عن هموم الأمة وتطلعاتها السياسية والاصلاحية.

غير أن قوة عباس لا تكمن في مجرد القول أن إبراهيمي مصلح يكتب الأدب، بل في اظهار أن الاصلاح والسياسة تتحولان داخل النص إلى مادة أدبية. فالقضية السياسية لا تقدم في مقاله بصيغة خبر صحفي بارد وإنما تبني عبر الحجة والصورة والإيقاع والعاطفة، كما أن العوة إلى الاصلاح لا تظهر في صورة وعظ مجرد، بل تتجسد في السخرية والخطبة والرسالة والنداء المباشر...

وتبرز هذه الفكرة بوضوح في مقالات التي تعالج قضايا مثل فلسطين، أو الاستعمار، أو اللغة أو نقد الشخصيات المناوئة للإصلاح، ففي هذه النصوص يلتقي الأدبي بالسياسي: «فالسخرية ليست وسيلة للإضحاك، إنما هي أداة لكشف التناقض، والخطابة ليست انفعالا لغويا، وإنما وسيلة لاستنهاض القارئ، والاستشهاد بالحديث والتراث ليس استعراضا ثقافيا، وإنما بناء للحجة واضفاء للشرعية على الموقف الوطني الإصلاحي.

وهذا الربط يجعل دراسة محمد عباس قادرة على تجاوز التصور الضيق للأدب، الذي يحصره في التشبيه والسجع والمحسنات، إلى صور أوسع ينظر إلى الأدب بوصفه خطابا مؤثرا في الوعي العام».<sup>1</sup>

فمقالة إبراهيمية تؤدي وظيفة مزدوجة: فهي نص أدبي من جهة، وخطاب اصلاحي من جهة أخرى وعليه «تُشكّل المقالة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نموذجاً فريداً لاندماج البعد الجمالي بالغاية الوظيفية، حيث تتجاوز الثنائية التقليدية التي تفصل بين «جمالية الفن» و «مباشرة الخطاب». فمن الجهة الأدبية، تزخر المقالة الإبراهيمية بخصائص النثر الفني الرفيع؛ من اختيار دقيق للمفردات ذات الشحنة التراثية الأصيلة، واستثمار واعي للإيقاع الموسيقي القائم على السجع والتوازن التركيبي، فضلاً عن التكتيف الاستعاري والمجازي الذي يمنح النص بلاغة رفيعة وطاقة إيحائية عالية»<sup>2</sup> أما فيما يتعلق بالجانب الإصلاحي.

«إن مقالته تُعدّ أداة للتغيير الاجتماعي والفكري ومواجهة الهيمنة الاستعمارية؛ إذ توظّف هذه الإمكانيات البلاغية لخدمة قضايا الأمة (التعليم، الهوية، محاربة التخلف، والوعي السياسي).

وبذلك «لا يغدو البيان عند الإبراهيمي حلية شكلية تطلب لذاتها، بل يتحوّل إلى «سلاح حجاجي» ووسيلة لإقناع المتلقي واستنهاض همته.

<sup>1</sup> - ينظر: شيادي، نصيرة، الأسلوب البلاغي في كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو (2020)، مج 15، ع 2،

<sup>2</sup> - ينظر السايب، عبد القادر. الخصائص الأسلوبية في نثر البشير الإبراهيمي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (2008) ص 84-89.

هذا التلازم يجعل القراءة الأسلوبية المجردة عاجزة عن استيعاب كنه النص الإبراهيمي ما لم تقارب مقالته بوصفها نصا أدبيا ذو فاعلية تداولية وإصلاحية في آن واحد.<sup>1</sup> وقد أكدت دراسات لاحقة أن المقالة عند الإبراهيمي ارتبطت بالحركة الوطنية وتجاوزت طابع الوعظ أو الإصلاح المجرد لتشارك في بناء الوعي السياسي ومواجهة الاستعمار. كما أن امتداد اهتمام الإبراهيمي إلى قضايا عربية وعلى رأسها فلسطين والعروبة، يوضح أن الأدب عنده لم يكن محليا ضيقا. فقد حملت مقالاته تصورا للانتماء العربي والإسلامي، وجعلت من مقاومة الاستعمار والوحدة والتضامن قضايا مركزية في خطابه.

وتأكدت الدراسات المتعلقة ببناء القومية في آثاره أن نضاله لم ينحصر في الجزائر بل اتجه أيضا إلى قضايا قومية عربية أوسع. ومن خلال ما سبق يتبين أن قوة دراسة محمد عباس تتمثل في أنها أعطت الاعتبار إلى البعد الأدبي في شخصية البشير الإبراهيمي، وربطت أحكامها بشواهد من نصوصه ثم وضعت الأدب في سياقه الإصلاحي والسياسي.

فالإبراهيمي في هذه الدراسة ليس مصلحا يستخدم الأدب عرضا، ولا أدبيا منعزلا عم قضايا زمنه، بل هو كاتب يجعل من الأدب وسيلة للوعي والافتناع، وقد مكن هذا المنهج عباس من الكشف عن تداخل البلاغة والخطابة والسخرية والتراث في النشر الإبراهيمي، ومن بيان أن القيمة الفنية لهذا النشر تنبع من قدرته على تحويل القضايا الدينية والوطنية والسياسية إلى خطاب أدبي مؤثر...

## ب - نقاط الضعف:

رغم ما يمثله كتاب محمد عباس من قيمة علمية في مجال الأدب الجزائري حول دراسته لأدب البشير الإبراهيمي، فإن الدراسة المنهجية النقدية تحيل إلى بعض الثغرات في دراسته هذه والتي لا تنقص من قيمة هذا العمل وإنما تحد من بعد الأفق النقدي لها.

و «لعل مرجع ذلك ومردّه إلى أن دراسة من هذا النوع تعدّ من بواكير الدراسات الجامعية التي اهتمت بأدب البشير الإبراهيمي، لذلك نجدها أقرب إلى التحليل البلاغي التقليدي والوصف الموضوعي أكثر منه إلى الأدوات والمناهج النقدية الحديثة.»<sup>2</sup>

وعليه يمكن حصر أبرز مواطن الضعف في ثلاثة محاور:

<sup>1</sup> - نظر: بن مالك، مسعود، تداولية الخطاب الإصلاحي في مقالات البشير الإبراهيمي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، ع 38، ص 45-52.

<sup>2</sup> - ينظر: د غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، نخبة مصر للطباعة والنشر، دط، 1997، ص 17-20.

## 1 - تغليب الطابع الاعجابي:

يبدو أن محمد عباس ينطلق من إعجاب كبير بشخصية البشير الإبراهيمي، وذلك لما لها من مكانة بارزة في العمل الإصلاحي والريادة السياسية التي قادت النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر، فترة الاستعمار، حيث يتأسس الفكر الإصلاحي والتربوي عند البشير الإبراهيمي على مبادئ متكاملة وثابتة، تتخذ من الإسلام والعروبة منطلقاً أساسياً لتحديد الهوية وحمايتها من الاستعمار فيجعل من الوحدة والحرية غايةً تسعى إلى لم شمل الأمة وتحررها، وفي سبيل بلوغ هذه الغايات، يبرز منهج الإبراهيمي في الاعتماد على التوعية والتربية بوصفهما الركيزة العملية والآلية الأمثل لبناء الإنسان الجزائري الواعي والمتحرر من قيود الجهل والتخلف».<sup>1</sup>

وعلى خلفية ذلك يبدو إعجابه طبيعياً إلى حد ما، غير أن هذا الإعجاب ربما يبدو أثره في لغة الدراسة، مما يجعل عبارات الإشادة تفعل فعلتها، فيصبح التفوق الأدبي حكماً سابقاً لأوانه قبل تحليل النصوص تحليلاً نقدياً صارماً.

وليس المقصد من الطابع الإعجابي أن دراسة محمد عباس خالية من التحليل، و لكن نبرة الإعجاب يجب أن تكون بعد التحليل، «فالتقدير الشخصي الذي يعطي الكاتب أو النص الأهمية لأسباب شخصية، تفريط في تقدير الأشياء التي هي موضع اهتمامنا، ومغالطة في أحكامنا من التقدير التاريخي الذي يجعل الناقد يصدر حكمه على الكاتب على أنه يمثل مرحلة من مراحل التطور في تاريخ أمة ما، فيبالغ في تقديره والثناء عليه بدلاً من أن ينظر إليه كأديب في حد ذاته ويقوّمه على أساس مكنته في فنه، والنقد النزيه أسمى من أن يتأثر بالأهواء الشخصية أو القومية»<sup>2</sup>

فكما سبق حتى من كلام الإبراهيمي نفسه في مقالة «سؤال وجوابه».. من أن في الشعر عيون وفي الدرر نفائس، كذلك هو الحال أيضاً مع مقالاته، حتى وإن كانت المقالات التي تناولها محمد عباس أغلبها مما جمع في (عيون البصائر) إلا أن إمكانية التفاوت في الجودة بينها تضل قائمة. لأن حتى في العيون نفسها ما يميز بعضها على بعض، لذلك قال جرير:

«إن العيون التي في طرفها حور  
قتلنا ثم لم يحين قتلانا»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: بلقاسم داودي، معالم الفكر الإصلاحي والتربوي عند محمد البشير الإبراهيمي، المعيار م 5، ع 9، ص 9

<sup>2</sup> - ينظر: محمد عزام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999، ص 10

<sup>3</sup> - محمد بن حمدان المالكي، مختصر التاريخ الإسلامي وأهم شعرائه وبعض لطائفه. <https://books.google.dz>، ص 59

فإن كانت العيون التي في طرفها حور في كلام الشاعر كناية عن «النساء» فإنه اختص من عيونهن ذوات الطرف المكحول ليتم له بها معنى البيت، والحور من أدوات الزينة لدى النساء وعليه فإن العين المكحولة، لديها وقع غير العين العادية إذا اعتمدنا تعميمه للخطاب بقوله «قتلنا» ووافقناه فيه،

وهذا فرق واضح في تميز العيون عن بعضها البعض حيث أنه منها ما يستحق الإشادة لوقعه في النفس ومنها ما هو دون ذلك.

وهنا تأتي مهمة الناقد المحايد، خاصة أن أدب الإبراهيمي متعدد الأغراض، فلا يمكن أن يخضع كله لحكم تقويمي واحد.

فعلى سبيل المثال في دراسته لمقالة محمد العيد وقضية تجريده من الألقاب يبرز محمد عباس قدرة الإبراهيمي في الدفاع عن مكانة محمد العيد، عن طريق بناء الحجة من التراث العربي بحيث استعرض «قضية الخلاف بين شوقي والعقاد»<sup>1</sup> ولا سيما حين يذهب فيه إلى أعمق من ذلك باستدعاء مفهوم العيون و العقائل من النساء، ليفسر نظرتة الجمالية كما «ورد ذكرها في كتاب الأسس الجمالية في النقد العربي، من تفصيل الجرجاني»<sup>2</sup> لكنه لا يقيم دراسة تطبيقية تحلل بعض الشواهد من شعره وعلى ذلك قد يتيح هذا السياق الاستفهام حول ما إذا كان الإبراهيمي في موضوعه ذك يدافع عن منزلة الشاعر العامة، بتطبيق معايير شعرية اعتمدها في حكمه عليه من أنه شاعر الحكمة و المثل وليس شاعر الجزائر الفتاة مثلاً..

وهل قدّم أمثلة متعددة من شعر محمد العيد أدّت به إلى الكتفاء بما حكم عليه، فمثل هذه الطروحات من شأنها أن تعطي لرأيه قيمة نقدية أكثر دقة من خلال استحضار النماذج وتحليلها.

وهو الأمر الذي لم نجد محمد عباس يتطرق إليه، مما يعني أنه كان يوافقه في طروحاته دونما محاولة التأكد منها. وعلى ضوء ذلك، يؤخذ على دراسة محمد عباس في بعض مواضعها. عدم استحضار دراسة من هذا النوع ليدعم بها قراءته للإبراهيمي فيما إذا كان قد تطرق إليها أثناء مطالعته له، تبرر موقف صاحبه من حكمه على الشاعر سواء بالجودة أو بالضعف، وهو الذي يقول في مقدمة كتابه «أنه تجشم العناء المضي في عملية الانتقاء والفرز والقراءات العديدة للنصوص المتشابهة والمتنوعة حتى أثبتتها محلاً للدراسة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - كان العقاد يرى ان شوقي يتهالك على الشهرة و يسعى لها بكم الافواه ويستخير المأجورين. ينظر: عز الدين الأمين - نشأة النقد الادبي

الحديث في مصر - دار المعارف، مصر، ط2، 1980، ص 167

<sup>2</sup> - ينظر: نفس المرجع، ص 165-167

<sup>3</sup> - محمد عباس، البشير الابراهيمي اديبا، م.س، ص2

وعدم سياق مثل هكذا نماذج في دراسة بهذه القيمة، يجعلها عرضة للميل إلى النبرة الاعجابية أكثر منها للموضوعية، خاصة حين يعبر عن ميله لتناول هذا الموضوع بتعبير من هذا الحجم «فقد كان أدبه يمثل ارهاصات حياة تشق ركام السحائب الجون في الآفاق لترى شعاع الفجر، وتبين حقائق الحرية والعز أمامها في مجتمع أمة هذا الأديب» فحين يطالع الدارس تعبير بهذا الوصف في مقدمة دراسة نقدية، فهذا يعني أن نتائج الدراسة طافية على السطح.

ورغم تبرئة الكاتب لنفسه منها في ماقدم لها، إلا أننا نجد في كل مرة ينتقل فيها لدراسة نوع من أنواع النثر التي خاضها الإبراهيمي يقدم قدرا من الأحكام المسبقة التي تعكس ذلك الإعجاب الذي لا يستطيع الفكك منه كقوله وهو يمهد لدراسة المقالة «لم تكن حقيقة المقالة الأدبية خالصة لوجه الأدب في جوانبه الفنية بقدر ما كانت تبتغي تحرير الشعب الجزائري دينيا واجتماعيا وسياسيا، وهو الهدف الجوهرى الذي يمكن أن يسجل بأمانة لدور المقالة الأدبية في الأدب الحديث. ولئن كانت خيوط الشك تتسلل إلى بعض المقالات لكتاب معينين تكذب هذه الحقيقة، فإن هذه الخيوط لا تبرح أن تتلاشى أمام مقالات الإبراهيمي الذي ما طفق ينفخ فيها من روحه المجاهدة صرخات الجهاد على صرير قلمه»<sup>1</sup>.

على هذا النسق من الحكم فإن صاحب الدراسة يرد تلك المحاولات - التي كللت أو لم تكلل بما كانت تنشده، لسبب أو لآخر -، على أصحابها دوغما تحليل أو رأي نقدي معلل فقط لأن الإعجاب بما قدمه الإبراهيمي كان سابقا على النقد.

فإن ذلك، يصبح في حكم الماخذ التي تأخذ على محمد عاس، لأنها لو لم تكن كذلك فلماذا تخوض أو خاضت الأبحاث العربية في مجال النقد كما هائلا من الاجتهادات بحثا عن ارهاصات النظريات النقدية والأدبية في التراث العربي..

وليس هذا فحسب: بل نجد ثنائه عليه يزداد في كل مرة يتدرج فيها بالدراسة ففي مجال الخطبة أيضا نجد مثل هذه الأحكام التي يجب أن لا تسبق العمل النقدي بل الحري بها أن تكون ناتجة عنه وهو معروض في الدراسة المتاحة للقارئ أو التي يتناولها بين يديه وليست في حكم الغياب كي لا يؤخذ على صاحبها ما يؤخذ عليها في هذا المقام، ففي معرض حديثه عن ارتجالية الإبراهيمي للخطب التي لم يكن قد سبقها بالتحضير بسبب تحركاته الكثيرة ورحلاته يقول «علاوة على مقدرة الإبراهيمي لا متناهية في الارتجال و الخبرة الفائقة في إيراد الكلمة، وما هذا

<sup>1</sup> - محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبيا، م.س، ص 136.

ببعيد ولا كثير على من خدم الكلمة في الأمة ولا بسها عشرات السنين معلماً، مدرّساً واعظاً وخطيباً محاضراً ينتزع مواضيع محاضراته وخطبه من وجوه الجمهور».<sup>1</sup>

رغم علمنا بأن ما قاله محمد عباس ليس بالكثير أو الأمر الذي نجهله من مكنة الإبراهيمي وبراعته فيما يشير إليه صاحبنا، إلا أن مقام الناقد يأخذ عليه مثل هذه الاشارات التي لا تستند إلى دراسة محمصة لإثباتها بطريقة علمية أكاديمية فمعظمها نابع من إعجاب صريح بشخصية الإبراهيمي كما يحيل إليها تهميشه في الاستناد إلى هذا التوجه بجريدة البصائر في سلسلتها الثانية تحت العدد 47 من سنة 1947 وإنما يندرج مثل هذه الآراء ضمن الإطناب.

## 2- حدود المقاربة التحليلية في الدراسة:

لا يمكن إنكار أن محمد عباس قد تنبه وأحاط بعدد من الخصائص الفنية المهمة التي كانت حسب دراسته من أحكم الظواهر التي ميزة أسلوب الإبراهيمي الفني.

كما ورد في الفصل الخامس من كتابه الذي سماه بـ «خصائص أدبه الفني» والذي تعرض فيه لدراسة: الأسلوب والأداء، واللغة، من حيث مستوى اللغة الشعري، والخطابي والتفريسي، ثم العمق».<sup>2</sup> كما أنه أحاط أيضاً في مواطن أخرى من دراسته بعدد من الظواهر الأسلوبية مثل السجع والسخرية والنزعة الخطابية واستدعاء التراث وحاول أن يربط هذه الظواهر بوظائفها النقدية والإصلاحية، غير أنه لم يخضع النصوص التي يدرسها للتحليل النقدي العميق.

كما نجد مثلاً في تعرضه لدراسة الأسلوب الساخر بطريقة تبدو سطحية نوعاً ما، وتجلى ذلك في الجزئية التي سماها «بمقالة نقد الشخصيات»<sup>3</sup>، حيث ذكر فيها تعرض الإبراهيمي لشخصية عبد الحّي للنقد الساخر المدقع.

وجاء بناء هذا الرأي وفقاً لما طرحه محمد عباس في تحليله للمقال انطلاقاً من آرائه التي يغلب عليها الوصف أكثر من التحليل. «فبعد أن يستعرض مقتطفاً من مقدمة المقالة المعنية بالدراسة، يجد أن تناول فكرة الإبراهيمي كان من طرفها الأبعد، ويشيد على هذه المقدمة بجزالتها وعدم اسرافها في الطول، ويذكر توفيق كاتبها في

<sup>1</sup> - محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، م.س ص 187.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي اديبا، ص 310.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 176.

اختياره للألفاظ وحسن استشهاده من التراث لما يوافق موضوع المقالة وسبب طرحها»<sup>1</sup> وينوه إلى أن أسلوب الكاتب يفيض بظروف التهكم بين الشدة والخفة ويستشهد على ذلك بأجزاء من النص الذي يدرسه. حيث يرى أن الكاتب قد بلغ بغيته بهذا الأسلوب التهكمي المتراوح بين الشدة والخفة دون أن يتطرق إلى الدراسة التحليلية التي تكشف كيفية بناء النص لبلوغه هدفه، من خلال توظيف المفردات وأسباب تركيبها على النحو الذي جاءت عليه لتبلغ هدفها وذلك عن طريق دراسة مستوياتها الصوتية والدلالية أو اعتماده على أي ضرب من ضروب الدراسة التداولية.

وذلك ما يدفعنا لأخذ عليه هذا المأخذ، ومن جهة أخرى فإننا لا نجد في موضوعه هذا الذي يتناوله توضيح التشابه والفروقات الاصطلاحية بين المشابجات في هذا المنحى من سخرية وتهكم وتقريع أو كوميديا أو كوميديا سوداء... الخ

وحتى دون أن يمتد دائما إلى تفكيك البنية الخطائية تفكيكا منهجيا دقيقا فالسخرية مثلا تدرس من خلال صلتها بالتقريع والتهكم ونقد الشخصيات، «لأن هذا ما أسهم في رواج الأدب الساخر بشكل كبير في مختلف الميادين، لأنه يرصد الواقع الحافل بالتناقضات والمفارقات ليحمل رسالة تعتمد الموقف الطريف بنكتة انتقادية في ظاهرها أو باطنها.»<sup>2</sup> لذلك أثناء دراسة موضوع مثل السخرية وجب ضبطه في إطاره المفاهيمي والسبر في أغواره وإيفائه حقه من الدراسة عن طريق توسيع النظر فيه بتحليل المقام الذي ينتج فيه وصورة المخاطب ودرجات المفارقة وكيفية انتقال العبارة من ظاهر المدح إلى باطن الذم، خاصة وأن الإبراهيمي كان يستعمل هذا الأسلوب للدفاع عن مبادئ اتجاهه الإصلاحية في مقارعة الاستعمار وأذنا به فهي كانت وسيلته الأنسب لذلك فالسخرية، باعتبارها «أعرق أسلحة البشرية و الطفها فهي سلاح الضعيف ضد القوي وسلاح الفقير على الغني وسلاح المظلوم على الظالم فهي سلاح ذاتي يستخدمه الفرد للدفاع عن جبهته الداخلية»<sup>3</sup>.

وكذلك الأمر في السجع والخطابة، إذ يبين عباس أثرهما في تقوية الإيقاع والتأثير غير أن الدراسة الأسلوبية الحديثة يمكن أن تضيف تحليلا لمواقع التكرار وتوازن الجمل وبنية النداء وتوزيع الضمائر وأنماط الاستفهام والتعجب حتى يتضح كيف يتحول المقال المكتوب إلى خطاب يوهم القارئ أنه يستمع إلى خطبة.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبياً، م.س، ص 180.

<sup>2</sup> - حنان بن قيراط الادب الساخر؛ بحث بحث في المفاهيم واستراتيجيات التعبير مجلة الإشكاليات في اللغة والادب، م15، ع3، 2026، جامعة

8 ماي 1945، قالمة ص 58

<sup>3</sup> - د.قردان ميلود، د.فتوح محمد، البعد السيكلوجي في الخطاب الادبي الساخر، مجلة إشكالات في اللغة والادب، ص 229

وهذا تحديدا ما يغيب في معظم الدراسة التي بين أيدينا فمحمد عباس حينما يتناول الفصل الخامس من الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه فإنه يتعرض لمناقشة الأسلوب بسطحية وصفية فيقول: «فلا يكاد أسلوب الإبراهيمي ينسلخ من هذه التحديدات الأسلوبية ولا يخرج عن دائرة الأصالة ... وأما طريقة الأداء فهي ماثلة لدى الإبراهيمي في عملية العرض الفني للأثر الأدبي وسط مناخ من تلاؤم المعاني والتوازي في العبارات سواء في المقالة أو الخطبة أو الرسالة».<sup>1</sup>

على هذا النحو من التعليقات السطحية الغير مستندة إلى تحليل نقدية عميق يمضي محمد عباس في الثناء على أسلوب الإبراهيمي.

ثم يستعرض جزءا من النص الذي يدرسه، ويأتي في دراسته على قوله: «فالنص ليس عاديا من حيث الصنعة الأدبية والفنية فهو يصطنع أسلوبا شاعريا تتماوج فيه نغمة موسيقية قريبة من الشعر ومنسجمة مع النغمة الذاتية، وكأن النص يكون وقفة طليية ... ويبلغ النص مداه في عملية التقسيم والتوزيع والتوازي بين الفواصل، كما يريد له صاحبه ... فهو يحافظ على الإيقاع الموسيقي الذي تحدته المقاطع الصوتية المتساوية ويخرجه ملازما لطبيعة الانفعال وتوجه العاطفة».<sup>2</sup>

وفي هذا الجزء نجده يناقش التراكيب الصوتية النابعة عن حركة الفواصل بين الطول والقصر وما تحدثه من جرس موسيقي بنوع من التحفظ ويمضي واصفا غير محلل بطريقة منهجية كاملة الأدوات. وعليه فإن حدود الدراسة لا تكمن في غياب التحليل بل في عدم استثمارها الكامل للأدوات اللسانية والحجاجية التي تسمح بتوسع ذلك التحليل وتعمقه.

وعليه يمكن القول إن محمد عباس كثيرا ما ينجح في رصد المظاهر الفنية غير أنه يميل إلى تسمية الظاهرة أكثر من تفكيكها، كما بين وظائفها العامة وصلتها بالسياق الإصلاحي والنقدي.

غير أن تحليله يظل في مواضع كثيرة محكوما بالأدوات البلاغية التقليدية والوصف الموضوعاتي، إذ لا يتوسع دائما في تحليل البنية اللغوية الدقيقة التي تنتج الهدف من توظيفها داخل النص. فإذا كان قد قال مثلا: «إن الإبراهيمي يستعمل الاستفهام الإنكاري والسخرية والمفارقة لفضح الخصم» فهذا في طبيعة الحال تحليل مهم.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي ادبياً، ص 311

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لكن الدراسة المتعمقة التي نلمح لنقص عمله منها يمكن أن تضيف كيف يوزع الكاتب هذا الاستفهام داخل الفقرة، ومن شأنها أيضا أن توضح كيف ينتقل من التهكم الخفيف إلى الإدانة الصريحة كما رأينا من إدانته لعبد الحى الكتاني ووصفه بالشعوذة والدجل.

### 3- نقص المقارنة للأدباء المعاصرين:

يلاحظ على دراسة محمد عباس محدودة حضور المقارنة، إذ ينصب اهتمامها على «إبراز الخصائص الأدبية للإبراهيمي من داخل نصوصه ومرجعياته التراثية»<sup>1</sup> دون أن تضعه إلا في حدود ضيقة في سياق النثر لعربي الحديث الذي عاصره، ولا يقصد بالمقارنة إخضاع الإبراهيمي لنماذج مشرقية أو انتقاص خصوصيته الجزائرية، بل المقصود تحديد موقعه الأدبي بصورة أدق.

فالموازنة بينه وبين بعض كتاب المقالة والنقد الإصلاحي في عصره كانت ستساعد على تعيين خصوصية أسلوبه:

أهي في نزوعه إلى الخطاب؟ أم في استثماره للسخرية السياسية؟ أم امتزاج الأدب بالإصلاح الوطني؟ وبغيا هذا الأفق المقارن، تبقى الدراسة أقرب إلى إثبات القيمة الأدبية للإبراهيمي منها إلى تحديد منزلته النسبية داخل خريطة النثر العربي. وعليه فإن موطن الضعف الثالث يتمثل غالبا في دراسة محمد عباس في هذا الكتاب من داخل. فالمقارنة لا تعني البحث عن التطابق أو التقليل من قيمة الإبراهيمي بل تساعد على تحديد خصوصيته، فعند الحديث عن المنطق يمكن مقارنته بموقف العقاد في المقالة الجدلية والنقدية، حيث «إن العقاد معروف في الساحة النقدية بأناقة الأسلوب إلى جانب الثقافة الموسوعية والحس المرهف و الذوق الرفيع ولاسيما أنه مثل ما يقال عنه إنه كان مصورا مثالا في كتاباته الأدبية والشعرية فما تقرأ له مقالا أو قصيدة إلا حسبه يدبج لوحة تجري عليها الاسماع والانظار، وله أيضا العبقريات ومكانتها في الأدب العربي الحديث حتى قيل عنها أنها أحالت الشخصيات المدروسة فيها إلى أشخاص ماثلين أمام القارئ يكاد يحس بمواقفهم و مواقعهم»<sup>2</sup> وهذه الأوصاف تتقاطع في جزء كبير منها مع ما وقف عليه محمد عباس في دراسته للبشير أو بمصطفى صادق الرافع في جزالة العبارة والمحافظة على النسق التراثي أو بأحمد أمين في المقالة التعليمية الفكرية أو بالمنفلوطي في نثره الوجداني إذ أن «المنفلوطي يعد من رؤوس الحركة الأدبية والنثر الفني في الربع الأول من القرن العشرين، وأسلوبه كان مدرسة تتلمذ

<sup>1</sup> - يلاحظ هذا الغياب للمنهج المقارن من خلال تتبع آليات الاشتغال النقدي في دراسة الباحث محمد عباس، حيث اقتصر الحفر النصي على المرجعية التراثية للرجل دون استحضار تقاطعاته مع الآداب الأخرى أو المناهج المقارنة.

<sup>2</sup> - ينظر: حسين ميرك، وبالقاسم جايب، الخطاب النقدي عند عباس محمود العقاد- بين الحس الفلسفي والتذوق الجمالي، مجلة حوليات الادب و اللغات، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2020، ص 77.

عليها أعلام في الأدب المعاصر».<sup>1</sup> وقد نهج المنفلوطي في النشر الفني طريقة جديدة وجرى عليها الكتاب في عصره وبعده، حيث جاء في جريدة النهار العربي والدولي دراسة حول «كتاب الأحزان» لنجيب نجيب التفاتة إلى المنفلوطي الباكي، وعرض فيه موجز لمنزلته، خاصة وأن «شهرة المنفلوطي ارتبطت بأسلوبه البياتي الذي أعطى حضوراً قوياً في تحرير الكتابة الأدبية المصرية من قيود «القبول المحفوظة» مع بداية القرن، ولعل على هذا ما دعى العقاد إلى إطلاق تسمية "عهد المنفلوطي" على فترة من تاريخ مصر الأدبي».<sup>2</sup>

فكان أسلوبه سهل البيان حلو العبارة، قوي الديباجة، وكان عظيم التذوق لبلاغة العرب، حفل بالجملة البارعة، والصياغة الرائعة وقد ظهر أثره هذا في مقالاته الأدبية، التي أودعها في: (النظرات) و(العبرات). بهذا تغدو دراسة محمد عباس منفتحة على جوانب وأقطار خارجية تعطي للإبراهيمي مكانته الحقيقية في تاريخ الأدب العربي على العموم.

وعند الحديث عن النزعة الخطابية، يمكن وضعه في صلة مع خطابة شكيب أرسلان وبعده الإصلاحية في المشرق. فقد عرف عن هذا الأخير أنه «قلد أرباب النشر الفني، ونافس كبار الفحول، وجرى المشهورين في عصور الأدب، فاقترب منهم في الميدان، وتسنى ذرى الفصاحة، واستولى على عرش البيان، وأهم ما يميز أسلوبه جملة من الخصائص، أبرزها ما يلي: السياق، وحسن البادرة، ولذة الموسيقى، وسحر الألوان، مما لا يقع إلا لأديب وصاف، وكاتب كبير و يبلغ الجودة في التعبير، والحسن في التصوير، والقوة في السبك، ولا يهبط عن المستوى الرفيع للفحول والمجيد، كما أنه يشتمل في سلاسة وعدوبة على ألفاظ وصور وتراكيب وأخيلة في وصف المشاهد ورسم الشخصيات، و تسيطر عليه نزعة التأليف، ولذا تشابه أدبه الصحفي بأدبه التألفي في كثير من الأحيان يعبر عن واسع فهمه، ويجري في موضوعات مختلفة من أدب وتاريخ وفلسفة واجتماع...»<sup>3</sup>

وعند دراسة المقالة السياسية يمكن مقارنته بكتاب الصحافة الإصلاحية في مصر والشام، حتى يتضح ما الذي يميزه: هل هو قوة المرجع الإسلامي؟ أم صلته الاستثنائية بالسياق الجزائري والاستعمار الفرنسي؟ أم مزجه بين المقالة والخطبة والسخرية في التراث؟

إن غياب هذه المقارنة في يجعل الدراسة تقنع غالباً بإثبات أن الإبراهيمي أديب متميز لكنها لا تمنح القارئ معياراً خارجياً واضحاً، يحدد نوع تميزه وموقعه بين كتاب عصره.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد علي، معالم المقال أدبي والصحفي، دار الكتاب الحديث، 2008، ص 52،

<sup>2</sup> - ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص. 203

<sup>3</sup> - ينظر: السيد مرسى أبو زكرياء، كتاب المقال وتطوره في الأدب المعاصر، المكتبة الشاملة، ص 168

وهذا مهم خصوصا أن الإبراهيمي كان منخرطا في قضايا عربية واسعة، ولم يكن محصورا في الإطار المحلي فقضية فلسطين مثلا، حاضرة بقوة في نثره ضمن تصور للهوية العربية والاسلامية والوحدة ومواجهة الاستعمار. لا تقلل هذه الملاحظات من القيمة الريادية لكتاب محمد عباس، ولا من أهميته في توجيه الاهتمام إلى البعد الأدبي في شخصية الإبراهيمي، وإنما تحدد حلوله المنهجية في ضوء ما تتيحه الدراسات الأسلوبية والحجاجية والمقارنة الحديثة.

فغلبة النظرة الاعجابية في بعض المواضع، وميل التحليل إلى الوصف البلاغي العام، وضعف المقارنة بالكتاب المعاصرين، كلها أمور تجعل الكتاب أقرب إلى الدراسة التأسيسية التي تثبت أدبية الإبراهيمي، وتجمع بعض خصائصها منه إلى الدراسة النقدية الشاملة، التي تستنفذ آليات النص وتضعه في سياقه العربي الحديث، ومع ذلك يبقى الكتاب أساسا مهما لأي قراءة لاحقة، لأن الدراسة الجديدة لا تبدأ من فراغ، بل تبنى من نصوص وقضايا وخصائص.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن كتاب محمد عباس «البشير الإبراهيمي أديباً» يمثل محاولة تأسيسية مهمة في إبراز الوجه الأدبي لشخصية البشير الإبراهيمي؛ إذ لم يكتفِ المؤلف بعرض مكانته العلمية والإصلاحية والسياسية، بل اتجه إلى دراسة إنتاجه الأدبي، والكشف عن خصائصه الفنية والأسلوبية، وإبراز الصلة الوثيقة بين تجربته الأدبية ومشروعه الإصلاحي والوطني.

### ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- 1- أسهم محمد عباس في نقل صورة البشير الإبراهيمي من نطاق العالم والمصلح إلى مجال الأديب الذي يمتلك تجربة فنية متميزة، تتجلى في النثر والخطابة والمقالة والخاطرة والشعر.
- 2- احتلت المقالة مكانة مركزية في دراسة محمد عباس، باعتبارها المجال الأبرز الذي اجتمعت فيه أفكار الإبراهيمي الإصلاحية والسياسية مع أدواته الأدبية والبلاغية، الأمر الذي جعلها وسيلة للتعبير عن مواقفه الفكرية والوطنية، وفي الوقت نفسه مجالاً لإظهار قدراته الفنية.
- 3- كشف محمد عباس عن تميز نقد الإبراهيمي بقدرته على الجمع بين الحكم الأدبي والغاية الإصلاحية؛ فهو لا يتناول النص أو الشخصية الأدبية بمعزل عن منظومة القيم التي يؤمن بها، وإنما يربط الأدب بالحق واللغة والأخلاق والوطن، مما يكشف عن تداخل واضح بين البعد الجمالي والبعد الفكري في تجربته.
- 4- أظهرت الدراسة أن النزعة الخطابية من أبرز الخصائص الأسلوبية في كتابة الإبراهيمي، إذ يجعل القارئ في منزلة السامع إلى خطابه، من خلال توظيف النداء والاستفهام والتعجب والتكرار وضمائر المخاطب وغيرها من الأساليب. ولا تقتصر هذه النزعة على إضفاء طابع شفهي على النص، بل تسهم في نقل انفعالات الكاتب ومواقفه، وإشراك المتلقي في القضايا التي يعالجها واستثارة إحساسه بالمسؤولية تجاهها.
- 5- تبين أن السجع يمثل إحدى أبرز السمات الأسلوبية في نثر الإبراهيمي، إذ يؤدي وظيفة إيقاعية وجمالية من جهة، ووظيفة حجاجية ودلالية من جهة أخرى، كما يسهم في إضفاء قوة موسيقية على عباراته، ويجعل نثره متصلاً بطرائق التعبير الموروثة في التراث العربي، دون أن يكون ذلك مجرد محاكاة شكلية للماضي.

- 6- اتضح أن السخرية والتهكم من أهم الوسائل النقدية التي وظفها إبراهيمي في خطابه، إذ استعان بهما للكشف عن التناقض بين ظاهر الأشياء وباطنها، ونقد الاستعمار وخصومه، وتقويم بعض الظواهر الاجتماعية والفكرية، بما يجعل السخرية أداة للكشف والنقد والإصلاح في آن واحد.
- 7- اعتمد إبراهيمي على التراث العربي والإسلامي اعتماداً وظيفياً، فاستحضر القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال والحكم والنوادر وسجع الكهان وغيرها من الموروثات الثقافية والبلاغية، موظفاً إياها في بناء حججه، وتعميق دلالات خطابه، وإضفاء سلطة ثقافية وبلاغية على نصوصه.
- 8- استطاع محمد عباس أن يكشف عن الترابط الوثيق بين الأدب والإصلاح والسياسة في تجربة إبراهيمي، فبيّن أن المقالة الإبراهيمية لا تتناول القضايا السياسية والاجتماعية بلغة تقريرية مباشرة فحسب، وإنما تحولها إلى خطاب أدبي يقوم على الحجاج والبيان والسخرية والخطابة، مما يمنحها قدرة أكبر على التأثير والإقناع.
- 9- كشفت الدراسة أن كتاب محمد عباس، على الرغم من أهميته في التعريف بالأبعاد الأدبية والفنية في تجربة البشير الإبراهيمي، يظل في بعض جوانبه أقرب إلى الدراسة التأسيسية منه إلى القراءة النقدية التحليلية المتعمقة، ولا سيما من حيث محدودية الإفادة من المناهج النقدية الحديثة والمصطلحات الإجرائية التي كان من شأنها أن توسع مجال التحليل وتعمق نتائجه.
- 10 - فتح محمد عباس مجالاً لدراسة الإبراهيمي بوصفه أدبياً، ومهّد لدراسات لاحقة أكثر تخصصاً في هذا المجال خاصة وأن هذه الشخصية رغم مالها في الجانب الإصلاحي، لازالت تحتفظ بالكثير مما لم تطرقه يد الدراسة
- 11 - كشفت دراسة محمد عباس عن إهمال لمؤلفات التي من شأنها أن تثري المكتبة الجزائرية بالكثير من المادة الأدبية في الأدب الجزائري من كتابات الإبراهيمي، مما يؤكد أن الإهمال قد طال حقا جوانب من هذه الشخصية. وخلاصة، يمكن القول إن البشير الإبراهيمي، جمع في أدبه بين جمال العبارة وقوة الحجة، وبين حرارة الشعور وصرامة الموقف. وقد استطاع محمد عباس أن يكشف عن جانب مهم من هذه الشخصية المركبة، فبيّن أن أدب الإبراهيمي لا ينفصل عن إصلاحه، وسياسته وأسلوبه الفني كان جزءاً من مشروعه في مقاومة الجهل والاستعمار والدفاع عن اللغة والهوية واستنهاض الأمة، وعليه فإن كتاب "البشير لإبراهيمي أدبياً" يظل عملاً ذا قيمة تأسيسية في الدراسات الإبراهيمية، فقد أثبت أدبية الرجل، ووضعت نصوصه في مجال البحث النقدي، وإن كانت الحاجة لاتزال قائمة إلى دراسات لاحقة تستفيد من المناهج الأسلوبية كالتداولية والحجاجية والمقارنة، لتعميق ما بداه محمد عباس، وتعيد قراءة أدب الإبراهيمي في ضوء أدوات النقد الحديثة.

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- 1- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، ط2، بيروت، 1977.
- 2- أحمد مطلوب، فنون - بلاغة - البيان - البديع، دار الجون العلمية، الكويت، 1975.
- 3- أنور الجندي، آفاق جديدة في الأدب والتاريخ والتراجم، د.ط، 1978.
- 4- أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، دار المعارف، القاهرة، د.ط.
- 5- الجاحظ، التزييع والتدوير، تحقيق شارل بلات، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، د.ط، 1955.
- 6- سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، د.ط.
- 7- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
- 8- عبد الرحمن عبد الحميد علي، معالم المقال الأدبي والصحفي، دار الكتاب الحديث، 2008.
- 9- عبد المالك مرتاض، فنون النشر الأدبي في الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 10- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1982.
- 11- عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، ط2، 1980.
- 12- عمارة، محمد، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: أديب الدعوة والجهاد، دار الشروق، القاهرة، 1984.
- 13- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديباً، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1983.
- 14- محمد علي المغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ج4، المكتبة الشاملة.
- 15- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي: أدبه ونضاله، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988.
- 16- محمد عزام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999.

- 17- كمال الدين أبي بركات الأنباري، الإيضاح في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، ج2، ط4، 1961.
- 18- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي). بيانات النشر غير مكتملة في الملف.
- 19- نزار قباني، قصتي مع الشعر، د.ط. (بيانات النشر غير مكتملة في الملف).
- 20- المازري، أبو عبد الله، المعلم لفوائد مسلم، ج1. (بيانات النشر غير مكتملة في الملف).
- 21- البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

#### ثانيًا: المقالات المنشورة في المجلات والدوريات

- 1- بن مالك، مسعود، «تداولية الخطاب الإصلاحي في مقالات البشير الإبراهيمي»، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، العدد 38.
- 2- بن قيراط، حنان، «الأدب الساخر: بحث في المفاهيم واستراتيجيات التعبير»، مجلة الإشكاليات في اللغة والأدب، مج15، ع3، جامعة 8 ماي 1945، قلمة، 2026.
- 3- خذير، بشير، مقال في مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج13، ع27، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، 2021.
- 4- شيادي، نصيرة، «الأسلوب البلاغي في كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي»، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، مج15، ع2، 2020.
- 5- شيبان، عبد الرحمن، «الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية»، مجلة الثقافة، العدد 87، 1985.
- 6- عبد القادر، معمر الدين، «مقومات المقالة عند البشير الإبراهيمي»، مجلة الموروث، مج9، ع2، مستغانم، الجزائر، 2021.

7- قردان، ميلود، وفتوح، محمد، «البعد السيكلوجي في الخطاب الأدبي الساخر»، مجلة إشكالات في اللغة والأدب.

8- مبرك، حسين، وجايب، بالقاسم، «الخطاب النقدي عند عباس محمود العقاد: بين الحس الفلسفي والتذوق الجمالي»، مجلة حوليات الأدب واللغات، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2020.

9- محمد البشير الإبراهيمي، «أنا»، مجلة الثقافة، العدد 87، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985.

10- مرسى أبو زكرياء، السيد، «كتاب المقال وتطوره في الأدب المعاصر»، المكتبة الشاملة.

### ثالثا: الرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية:

1- بن سواف، مريم، جوانب من النشاط السياسي للنخبة الجزائرية من 1900-1938: النخبة المفرنسة أنموذجا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2023.

2- السايب، عبد القادر، الخصائص الأسلوبية في نثر البشير الإبراهيمي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.

### رابعا: الصحف والمصادر الدورية

1- المنتقد، العدد 1، 1344هـ، 1925م.

2- مجلة المصور المصرية، (1955) وردت في سياق حديث عن إجابة الشيخ البشير الإبراهيمي عن أسئلة المجلة

### خامسا: المصادر الإلكترونية

1- الحسن طيب بن عمر، سلفية وأعلامها في موريتانيا، شنقيط: عرض لتاريخ السلفية...، متاح عبر Google Books.

2- محمد بن حمدان المالكي، مختصر التاريخ الإسلامي وأهم شعرائه وبعض لطائفه، متاح عبر Google Books.

فخر رس

|       |                                                           |
|-------|-----------------------------------------------------------|
|       | البسمة                                                    |
|       | الشكر                                                     |
|       | الإهداء                                                   |
| أ-ب-ج | مقدمة عامة                                                |
|       | <b>الفصل الأول : الإطار النظري والتعريف</b>               |
| 1     | 1- التعريف بمحمد البشير الإبراهيمي                        |
| 1     | أ/ حياته ونشأته                                           |
| 3     | ب/ دوره الإصلاحى رفقة ابن باديس                           |
| 5     | ج/ بعد وفاة ابن باديس                                     |
| 7     | د/ مكانته الأدبية                                         |
|       | <b>الفصل الثانى: ملامح الأدب عند الإبراهيمي فى الكتاب</b> |
| 10    | I- الأغراض الأدبية: ملامح الأدب عند الإبراهيمي            |
| 11    | أ/ المقالة السياسية                                       |
| 15    | ب/ المقالة الاجتماعية                                     |
| 19    | ج/ المقالة النقدية                                        |
| 26    | II- الخصائص الأسلوبية "الأسلبة"                           |
| 27    | أ/ البيان والبلاغة                                        |
| 30    | ب/ النزعة الخطابية                                        |
| 32    | ج/ السخرية والتهكم                                        |
|       | <b>الفصل الثالث: القيمة النقدية للكتاب</b>                |
| 36    | I/ القيمة النقدية للكتاب                                  |
| 36    | أ/ نقاط القوة                                             |
| 44    | ب/ نقاط الضعف                                             |
| 55    | خاتمة                                                     |
| 58    | قائمة المصادر والمراجع                                    |
| 62    | فهرس                                                      |

|    |      |
|----|------|
| 65 | ملخص |
|----|------|

ملخص

## ملخص:

يتناول هذا البحث كتاب محمد عباس الموسوم بـ«البشير الإبراهيمي أدبيًا»، من خلال قراءة في الجوانب الأدبية والفنية لشخصية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والكشف عن مكانته في الأدب الجزائري الحديث. وقد انطلق البحث من إشكالية أساسية تتمثل في معرفة مدى نجاح محمد عباس في إبراز البعد الأدبي في شخصية الإبراهيمي، والتعرف على أهم خصائص كتاباته الأدبية والمنهج النقدي الذي اعتمده في دراستها. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي، وجاء في ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأول الإطار النظري والتعريف من خلال التعريف بحياة البشير الإبراهيمي ونشأته ودوره الإصلاحي ومكانته الأدبية، إضافة إلى التعريف بمحمد عباس وكتابه. أما الفصل الثاني فتناول ملامح الأدب عند الإبراهيمي، من خلال دراسة المقالة السياسية والاجتماعية وبعض الخصائص الأسلوبية والبلاغية، كالنزعة الخطابية والسجع والسخرية والتهكم وتوظيف التراث العربي الإسلامي. بينما خصص الفصل الثالث لدراسة القيمة النقدية للكتاب، من خلال إبراز نقاط قوته، خاصة اهتمامه بالجانب الأدبي وتوثيق نصوص الإبراهيمي والربط بين الأدب والإصلاح والسياسة، إلى جانب الوقوف على بعض حدوده، مثل غلبة الطابع الوصفي والبلاغي ومحدودية الاستعانة بالمنهج النقدية الحديثة وضعف المقارنة مع أدباء آخرين. وتوصل البحث إلى أن كتاب «البشير الإبراهيمي أدبيًا» يمثل دراسة تأسيسية مهمة أسهمت في إبراز الإبراهيمي بوصفه أدبيًا إلى جانب كونه عالمًا ومصلحًا، وكشفت عن تداخل الأدب والإصلاح والسياسة في إنتاجه، كما فتحت المجال أمام دراسات لاحقة يمكن أن تستفيد من المناهج الأسلوبية والتداولية والحجاجية والمقارنة لتعميق دراسة أدبه.

**الكلمات المفتاحية:** البشير الإبراهيمي، محمد عباس، الأدب الجزائري، النقد الأدبي.

**Abstract:** This study examines Mohamed Abbas's book entitled Al-Bashir Al-Ibrahimi as a Literary Writer, focusing on the literary and artistic aspects of Sheikh Mohamed Al-Bashir Al-Ibrahimi's personality and highlighting his position in modern Algerian literature. The research is based on a central question concerning the extent to which Mohamed Abbas succeeded in highlighting the literary dimension of Al-Ibrahimi's personality, identifying the main characteristics of his literary writings,

and examining the critical approach adopted by the author. The study relies on the descriptive method and consists of three chapters. The first chapter presents the theoretical and introductory framework by discussing Al-Ibrahimi's life, upbringing, reformist role, and literary position, as well as introducing Mohamed Abbas and his book. The second chapter examines the literary features of Al-Ibrahimi's writings through the study of political and social essays and several stylistic and rhetorical characteristics, including the rhetorical tendency, rhyme, irony, satire, and the use of Arab-Islamic heritage. The third chapter focuses on the critical value of the book by highlighting its strengths, particularly its attention to the literary dimension, documentation of Al-Ibrahimi's texts, and connection between literature, reform, and politics, while also identifying some limitations, such as the dominance of descriptive and traditional rhetorical analysis, the limited use of modern critical approaches, and the lack of comparison with other writers. The study concludes that Al-Bashir Al-Ibrahimi as a Literary Writer represents an important foundational study that contributed to presenting Al-Ibrahimi as a literary writer alongside his roles as a scholar and reformer, revealing the interaction between literature, reform, and politics in his writings and opening the way for further studies using stylistic, pragmatic, argumentative, and comparative approaches.

**Keywords:** Al-Bashir Al-Ibrahimi, Mohamed Abbas, Algerian Literature, Literary Criticism



الجمهورية العربية السورية  
 Arab Republic of Syria

الجمهورية العربية السورية  
 Arab Republic of Syria  
 وزارة الثقافة  
 Ministry of Culture  
 المديرية العامة للدراسات والبحوث  
 General Directorate of Studies and Research  
 دمشق - سورية  
 Damascus - Syria



وزارة الثقافة والدراسات والبحوث  
 Ministry of Culture and Studies and Research  
 المديرية العامة للدراسات والبحوث  
 General Directorate of Studies and Research  
 دمشق - سورية  
 Damascus - Syria

المصريح الشرفي

الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث

المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث

| الاسم واللقب    | المسمى     | الدرجة العلمية | تاريخ المصريح |
|-----------------|------------|----------------|---------------|
| م. د. محمد وليد | أ. د. حوري | دكتوراه        | 15/10/2023    |

المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث

المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث

المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث



المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث  
 المصريح الشرفي الخاص بالانضمام بقواعد قواعد القواعد لأخبار بحث



### القرار بالقبولية للمناقشة

من أجل منح شهادة البكالوريا العامة 2025/2026 بناءً على الترتيب الذي يليه في جميع المواد المقررة  
للمدرسة: مدرسة بني كنانة - المدينتين الجديدة - أدرية  
بمدرسة بني كنانة  
مدرسة بني كنانة كمرحلة أولى.

للمناقشة في شهر يونيو ☒ من قبل اللجنة ☐ للمناقشة بعد ذلك ☐  
الملاحظة:

بعد الانتهاء من كتابة البرهان  
والاستعداد لها على المستوى الفردي والمجمعي  
تتم قبول الطلب والقرار وفقاً لبياناته للمناقشة.

وتحيط اللجنة بالقرار المذكور في هذا القرار.

من أجل تنفيذ القرار 10/05/2025

بمدرسة بني كنانة  
مدرسة بني كنانة  
مدرسة بني كنانة